تمنياتي لكم المتعة وحُسن الأفادة..علي مولا

الحل في الأهلي والزمالك

محمد عبد القدوس

مجموعة قاضرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

- إلى العالم الجليل الذى عرفت منه حلاوة الإسلام وسماحته بأخلاقه وسلوكه أولا ثم كتاباته وخطبه بعد ذلك .
- الرجل الذى كان أمة وحده فى علمه وفقهه واستنارته ومعرفته بالتيارات المعاصرة واطلاعه على الواقع .
- الداعية الكبير الذى دافع عن حقوق الفقراء ، وأنصف المرأة ، وأوضح مكانتها المتميزة .
- الشيخ الذى وقف إلى جانب الفن النبيل ، وشجعنى على الاتجاه إلى الأدب وكتابة القصة .
- إلى الإمام محمد الغزالى رحمه الله الذى أحب الإسلام وكرس حياته من أجل هذا الحب .

المحب لك
محمد عبد القدوس

LILAS.COM

مقدمة

بقلم : رجاء النقاش

سعدت بقراءة هذه المجموعة القصصية للأستاذ محمد عبد القدوس ، وقد قرأتها بسهولة واستمتاع ، ومر الوقت الذى قرأت فيه المجموعة من أول حرف إلى آخر حرف دون أن أشعر به . وهذه كلها من العلامات الأساسية لنجاح أى فنان فى أداء رسالته ، فالمتعة هى شرط أساسى للفن الجميل الذى يستطيع أن يؤثر فى قلوب الناس وعقولهم ، وهذا مبدأ مستقر فى كل الآداب العالمية ، فلولا أن «شكسبير» فى مسرحياته يمتعنا بأشعاره وحكمته وقدرته على خلق الشخصيات الحية والمواقف المثيرة ويجعلنا نتابع الأحداث فى أعماله المختلفة بلهفة وفضول . . . لولا هذا كله لما استطاع «شكسبير» أن يترك أثره العالمى فى كل العصور والأماكن ، ولايزال بعد رحيله بما يقرب من أربعمائة سنة حيا بيننا نتحدث عن شخصياته التى رسمها فى أعماله ، وكأنها شخصيات تعيش معنا وتثير فينا عواطف الحب أحيانا ومشاعر الغضب فى أحيان أخرى ، ومشاعر العطف والإشفاق فى مواقف ثالثة . فنحن نذكر «هاملت» و«ماكبث» و«روميو وچولييت» و«عطيل» و «ديدمونة» ، كأنها شخصيات حقيقية عرفناها وتحدثنا معها وغضبنا منها أو غضبنا لها ، وهى كلها شخصيات من ابتكار شكسبير ، وإن كانت أصول بعضها التاريخية أو الشعبية غير معروفة ولا مشهورة .

LILAS.COM

إلا أن شكسبير استطاع أن يخلقها فينا من جديد ، وأن يجعلها شخصيات نابضة بالحياة والقوة ، وأعمال شكسبير مليئة بالأفكار العميقة عن الإنسان والحياة ، ولكننا لا نتوصل إلى هذه الأفكار إلا من خلال المتعة الفنية التى يغمرنا بها شكسبير ، ولولا هذه المتعة ، ما استطاع أحد أن يتوصل إلى حكمة شكسبير وآرائه العميقة .

فالمبدأ إذن صحيح تماما ، وخلاصته أنه لا فن بدون متعة ، كما قال الناقد الرومانى القديم هوراس فى نصيحته للشعراء : «إذا كنتم تريدون أن تستميلوا إليكم قلوب الجمهور فامزجوا النافع بالمفيد ، حتى يتحقق لكم حب الناس فى نفس الوقت الذى يسعون فيه إلى الاستفادة منكم ومما تقدمونه من علم وأفكار» . ومن يتجاهلون مبدأ المتعة الفنية يخسرون كل شىء ، فلا أفكارهم تصل إلى الناس ، ولا ما يكتبونه يمكن أن يترك أثرا من أى نوع فى الحياة . وقد اخترت أن أضرب المثل بشكسبير باعتباره قمة من قمم الفن العالمى ، والقمة دائما تستطيع أن تضع مبادئ ثابتة لا تتغير .

أخرج من هذا التمهيد السريع لأعود إلى هذه المجموعة القصصية للأستاذ محمد عبد القدوس ، وما قصدت من هذا التمهيد سوى أن أعيد إلى ذاكرتى وذاكرة الكثيرين أن الفن لا ينفصل عن المتعة ، وأن الفن بلا متعة هو أداة غير قادرة على أن تحمل إلى الناس أى نوع من الرسالة .

وقصص محمد عبد القدوس فى هذه المجموعة تعطينا المتعة الفنية المطلوبة ، فمنذ السطور الأولى لأى قصة منها فإننا نجد أنفسنا وقد دخلنا فى عالم القصة ، وأصبحنا على معرفة وتآلف مع شخصياتها ومواقفها المختلفة ، وأصبحت لدينا لهفة لمتابعة الأحداث والصراعات حتى النهاية . ومحمد عبد القدوس يحقق هذا كله بما يملكه من أدوات فنية طيبة ، فأسلوبه سهل ، وعبارته سريعة وقصيرة ، وفى هذا الأسلوب عذوبة موسيقية بعيدة كل البعد عن الصخب والضجيج ، فهى موسيقى هادئة وديعة ولكنها مليئة بالحيوية والاشتعال . وبالإضافة إلى الأسلوب الجميل فإننا نلمس فى هذه المجموعة القصصية قدرة محمد عبد القدوس على تجسيد أفكاره فى شخصيات حية نتعاطف معها ، أو نرفضها ، ولكننا فى الحالتين نحس بها إحساسنا بالبشر الأحياء الذين هم من لحم ودم ، وليسوا عرائس تتحرك فى عالم من الوهم والخيال .

وهناك ميزة أساسية أخرى فى هذه المجموعة القصصية ، وهى أن محمد عبد القدوس يبنى قصصه على نوع من «الصراع القوى» بين طرفين أو بين أطراف متعددة ، وبدون هذا الصراع فإن الفن يصبح سطحيا . وذلك عندما نجد هذا الفن وهو يمشى فى اتجاه واحد لا تقابله قوة أخرى تأتى من الإتجاه المضاد . وحتى حينما لا يكون فى قصص محمد عبد القدوس صراع بين عدة شخصيات مختلفة ، فإن الصراع يوجد فى داخل الشخص الواحد ، حيث تنقسم نفسية هذا الشخص إلى طرفين مختلفين متصارعين

LILAS.COM

بعنف ، وبذلك لا تخلو قصص محمد عبد القدوس من الصراع الحاد حتى لو كان بطل القصة شخصا واحدا .

ومن الأدوات الظاهرة التى استخدمها محمد عبد القدوس فى هذه المجموعة بنجاح شديد : أسلوب «الحلم» بنوعيه ، حلم النوم ، وحلم اليقظة ، والأحلام بصورة عامة تمكن الفنان من الوصول إلى مناطق خصبة وغنية وحساسة فى النفس الإنسانية ، لأن الإنسان يحلم دائما بما ليس فى واقعه ، وبما يتمناه ويتمنى تحقيقه ، فالأحلام هى استخدام للخيال الإنسانى والمشاعر الكامنة فى عقل الإنسان ونفسه بهدف استكمال ما فى الواقع من نقص وقصور . والأحلام مادة خصبة جدا لأى فنان موهوب .

هذه بعض الملامح الأساسية فى هذه المجموعة القصصية ، والتى تجعل منها فنا ممتعا يجذب القارئ ويعطيه لحظات جميلة ، نجدها دائما فى الأعمال الفنية الناجحة

على أن هذه المجموعة ليس هدفها تصوير الواقع الإنسانى كما هو ، ثم إتاحة الفرصة للقارئ حتى يفكر فى هذا الواقع كما يشاء بحرية ودون تدخل من الفنان .

محمد عبد القدوس لا يختلف عن والده أستاذنا الكاتب الكبير الراحل إحسان عبد القدوس . فالأستاذ إحسان كان يحرص دائما على أن تكون هناك فكرة أساسية واضحة يدور حولها كل عمل قصصى ، حتى كان فى كثير من الأحيان يكتب

فكرة القصة فى مقدمتها ليؤكد للقارئ أن القصة تدور حول هذه الفكرة وتسعى لإثبات صحتها

وكما ورث محمد عبد القدوس الموهبة القصصية الأصيلة من والده الفنان الكبير ، ورث منه أيضا هذه الطريقة فى الأداء القصصى ، وهى أن كل قصة لابد أن يكون لها هدف فكرى واضح تخدمه وتحاول - بقوة الفن - أن تثبت صحته .

والفرق بين إحسان عبد القدوس ومحمد عبد القدوس هو الفرق فى نوعية الأفكار المطروحة . فإحسان كان تفكيره الأساسى متجها إلى المشاكل الاجتماعية والنفسية أو السياسية ، وهى مشاكل كثيرا ما كانت تأخذ شكل صراعات عاطفية ، ولكنها دائما تصب فى الموضوع الاجتماعى أو السياسى أو النفسى .

أما محمد عبد القدوس فى قصصه فله اتجاه آخر مختلف ، فهو يركز فى قصصه على «القضية الدينية» ، وينطلق فى كل قصة من إيمانه العميق والأصيل بالإسلام ، فهو فى قصصه كلها يحاول أن يخلق نوعا من «الأدب الدينى» ، إذا صح التعبير ، أو الأدب الذى يدعو إلى الالتزام الدينى ، ويرى فى هذا الالتزام حلا لتعقيدات الحياة المختلفة .

والمحاولة فى حد ذاتها جديدة ونبيلة ، وخاصة عندما يتبناها كاتب موهوب مخلص مثل محمد عبد القدوس ، لديه قدره فنية واضحة على تحويل الأفكار إلى مواقف قوية وشخصيات وصراع مؤثر وفعال .

LILAS.COM

وهنا تنشأ المشكلة التى يثيرها أدب محمد عبد القدوس ، بل وينشأ أيضا بعض الخلاف معه .

ولكى يكون الأمر أكثر وضوحا فإننا لابد أن نفرق بين جانبين فى التفكير الدينى عند محمد عبد القدوس ، الجانب الأول هو جانب إيجابى جدا ، لا أظن أن أحدا يختلف فيه مع محمد عبد القدوس . بل إنه جانب جدير بالإعجاب والتقدير .

هذا الجانب هو تفسير محمد عبد القدوس للإسلام ونظرته إليه . فهنا نجد أن الكاتب الفنان يقدم لنا صورة رائعة للإسلام . فهو دين يرفض التعصب ، ودين سمح ، ودين لا يحرض الناس على الزهد والتقشف وتحريم كل ما هو مشروع من متعة الحياة على أنفسهم . وهو دين يرفض «الرهبنة» أيضا ، ويدعو إلى اقتحام الحياة بالعمل وطلب النجاح والرخاء ، حتى يستطيع الإنسان أن يعالج مشاكله ، وألا يكون عبئا على الآخرين .

ولعلى لم أقرأ من قبل عبارة «إسلامنا الجميل» إلا عند محمد عبد القدوس .

وهى عبارة بديعة ولها مغزاها الكبير . فعندما يكون الدين جميلا فإن ذلك يجعلنا نرفض كل خشونة وقسوة وقبح فى السلوك والتعبير والتعامل مع الآخرين . والجمال أيضا معناه الإعلاء من شأن العواطف الإنسانية الطبيعية مثل الحب ، والأمومة والحنان والرفض الكامل للعنف ، واحترام الغير حتى لو كان من دين آخر . ولا شك - على سبيل المثال - أن ما نقرأه فى

هذه المجموعة من الدفاع النبيل والأصيل عن الوحدة الوطنية والإنسانية بين المسلمين والأقباط ، هو من أجمل ما يمكن أن نقرأه فى هذا المجال ، ولمحمد عبد القدوس ، ابن إحسان عبد القدوس ، كل التقدير على ما قدمه من صور مقنعة ومؤثرة حول الوحدة بين المسلمين والأقباط فى المشاعر الإنسانية والوطنية .

هذا هو الجانب الإيجابى فى قصص محمد عبد القدوس من الناحية الفكرية .

ولكن هناك جانبا سلبيا آخر أرانى مضطرا للاختلاف معه كل الاختلاف .

ففى بعض قصص هذه المجموعة نشعر أننا أمام «أدب حزبى» ، ورغم روح التسامح والطيبة والنبل والجمال التى تشع من المجموعة كلها إلا أن فكرة «الأدب الحزبى» فكرة مضرة جدا ومثيرة للخلاف ، وهى تؤدى بصورة عملية إلى انقسام القراء أمام العمل الفنى ، حتى لو توفرت له كل شروط النجاح والجمال ، إلى قسمين . . قسم يرفض الحزب الذى يدعو إليه الأديب الفنان ، وقسم يؤيد هذا الحزب ، والذين يرفضون لا يمكن أن يتعاطفوا مع الأدب الحزبى على الإطلاق . ومحمد عبد القدوس يصدمنا فى بعض قصصه وليس فيها كلها بهذا الاتجاه الحزبى . وبصرف النظر عن الحزب أو الجماعة التى يدعو إليها محمد عبد القدوس فإن الأدب الحزبى بصورة عامة يقع فى محظور شديد ، فالأدب إنسانى بطبعه ، وهو مثل الزهور والثمار والأمطار والأنهار والأصوات

LIILAS.COM

الجميلة . . . كلها مادة عامة لكل البشر بدون تفرقة بين الألوان والأجناس والطبقات الإجتماعية المفتعلة ، وبدون تفرقة أيضا بين الأحزاب والجماعات التى يختلف الناس فى الإنتماء إليها .

يستطيع الأديب الفنان أن ينتمى إلى أى حزب أو جماعة ، ما دام مقتنعا بذلك ، ولكنه عندما يمسك بقلمه ليكتب فنا ، فعليه أن يتخلص من حزبيته ويلتزم بإنسانيته أولا وقبل كل شىء .

وعلى مر التاريخ ومنذ ظهور الأحزاب لم ينجح أدب حزبى أبدا فى التأثير على الناس . لأن الحزبية تضييق من وظيفة الأدب والفن ، وحصر لهذه الوظيفة فى الدعوة والإعلام ، والفن شىء مختلف تماما عن الدعوة والإعلام . كما أن الدعوة والإعلام عندما يدخلان إلى عالم الفنان يفرضان عليه التعبير المباشر ، الخالى من الإيحاء والتلميح وتحرير نفس القارئ وعقله من كافة القيود . والفن تحرير للإنسان وليس تقييداً له .

كل الأحزاب أصحاب العقائد أو «الأيديولوجيات» كما يقال لم تنجح فى تقديم أدب إنسانى غير مؤقت ، يكون قادرا على مخاطبة كل القلوب والعقول الإنسانية ، يوكون قادرا على أن يعيش فى كل العصور ، وهذه هى نقطة الخلاف الأساسية بينى وبين محمد عبد القدوس ، وأتمنى أن يقتنع بوجهة نظرى المتواضعة وهى أن الأدب الحزبى لا ينجح فى التأثير على الناس . بل هو تحريض للقارئ على أن يهرب من الفنان ولا يستجيب إلى ما يحمله فى فنه من آراء ودعوات !

أسجل نقطة الخلاف هذه من باب الأمانة التى تفرضها مهنة النقد على كل من يحاول الاقتراب منها وأداءها على وجهها الصحيح . وأنا أحب محمد عبد القدوس ، وأرى فيه عطرا نفاذا من رجلين عظيمين أولهما هو والده إحسان عبد القدوس ، والثانى هو أستاذه ووالد زوجته الشيخ محمد الغزالى . وفى ظنى أن هذين الرجلين العظيمين كانا يكتبان بحرية ، وكانا يرفضان تقييد أفكارهما بأى قيد ، وإن كان الشيخ الغزالى بالتحديد يبدو - فى الظاهر - حزبيا ، كما أنه له آراء بعضها لم يتفق عليه الناس ، إلا أن الغزالى كان فى حقيقته وفى كتاباته الرائدة والرائعة رجلا حرا لا يتقيد بقيد من القيود ولا بحزب من الأحزاب بل يتقيد بالحقيقة وبالإنسانية .

وأملى أن يتحرر محمد عبد القدوس بموهبته فى أعماله القادمة من أى روح حزبية حتى لا تؤثر على انطلاقه وقدرته على التعبير الفنى الجميل .

رجاء النقاش

LIILAS.COM

الحل.. فى الأهلى والزمالك !

تساءل مذهولا .. ما الذى جرى لك يا مصر ؟ الفتنة الطائفية وصلت حتى إلى الصغار ! تشاجر الأولاد المسلمون والأقباط . تضاربوا . تمزقت ملابسهم .. تمزقت نفسه . النزلة الشعبية زادت من آلامه . بالأمس أصابت ابنه (حمزه) . قرر حسم أمره .. لن يكشف عليه إلا جاره الدكتور «سيدهم» .

التقطت زوجته أفكاره ، تعلم ما يدور فى ذهنه . انطلقت القذائف من لسانها : «أبدًا .. لن يذهب ابنى إلى هذا الطبيب النصرانى ! أنت المسلم الوحيد فى المنيا الذى يفعل ذلك . تكفينا المشاجرة التى وقعت» .

لم يهتز المهندس علاء لغضب زوجته . تعود أن يكون هذا الموضوع إحدى نقاط التماس بينهما . رد فى هدوء دون أن يفتح عليها النار : «الدكتور جار لنا ، والنبى وصى على سابع جار ، بالإضافة إلى أنه طبيب مشهور ومشهود له بالكفاءة» .

واصلت دكها لحصونه : «البلد مليئة بالأطباء المسلمين .. هل رأيت مسيحياً يذهب إلى طيب مسلم ؟ يعتبرون ذلك عيباً فى حقهم !» .

«ياه على التعصب» . قالها فى ضيق بدا على وجهه . «ابنى وأنا المسئول عنه .. لابد أن يذهب إلى أحسن دكتور .. «سيدهم» بالفعل طبيب ممتاز .

LILAS.COM

طاشت بعض قذائفها : «يا أخى عيب على «ذقنك» . يجب أن يكون عندك كرامة . زوجته قاطعتنا بعد خناقة الأولاد ، كيف تذهب بالولد بعد ذلك إلى زوجها الدكتور» ؟

صد هجومها بنظرات حادة غاضبة . رد فى صوت متحفز : «فرصة للصلح . . من الضرورى أن نعيش فى سلام مع الأقباط الذين يسكنون معنا» . استعد للانقضاض عند أول طلقة جديدة منها . رأت تحفزه ، فضلت الانسحاب قبل أن يقع ما لا تحمد عقباه ، سكتت . اكتفت بالمناوشات التى قامت بها .

خرج مصطحباً طفله إلى الطبيب ، أغلق باب شقته فى عنف كأنه يصفع امرأته . انطلق بسيارته من «أرض سلطان» حيث يسكن إلى وسط المدينة . سؤال يطحن ذهنه : ماذا جرى «لنسمَه» زوجته ؟ زمان كانت كالنسمة . . ملاك رقيق هادئ . وديع . تغيرت بالتأكيد . كثرت بينهما المشاحنات . ترى هل انتقالهما إلى «المنيا» هو السبب ؟ ابتعادها عن أسرتها ربما كان وراء توتر أعصابها . دائمة الشكوى من حياتها الجديدة . تريد العودة إلى القاهرة ، لكن حقدها ضد الأقباط ما تفسيره ؟ لم يدر فى خلده قط . من أين جاءت به ؟ كانت صدمة له عندما اكتشف فى نسمته رياحًا سامة . آخر ما كان يتصوره أن يكون ملاكه حاقدًا .

اشتد السعال بابنه . طرقات على رأسه . حاول التسرية عنه : «غدًا تشفى وتعود لاعب كرة ممتازًا» .

رد فى براءة : «ماما أخبرتنى أن الله عاقبنى لأننى لعبت مع النصارى» .

ضرب محتجًا دفة القيادة بيده فى حركة لا إرادية . ماجت نفسه . . إجرام . . إجرام هذا الذى قالته ، أطلت بصورتها فى ذهنه . ظهرت مشوهة مهتزة مشوشة . . ابتسامتها البريئة وقهقهة الشيطان . من قال لك يا مَرَة أن مرض الولد بسبب لعبه مع الأقباط ؟ هل وصلت كراهيتك لهم إلى هذه الدرجة ؟ بالفعل هذا الصنف من النسوة ناقصات عقل ودين . لا يمكن إلا أن يكون الأمر كذلك . تعجب مجدداً من تفكيرها . الغريب أنها أقل التزاماً منه بتعاليم الدين ، ومع ذلك أكثر تعصباً ، فهمه الصحيح للإسلام وراء حمايته من هذه الانحرافات .

«مالك يا بابا» . صوته ملائكى . طبع على جبينه قبلة . «يا حبيبى . . لم يمنعك مرضك أن تهتم بأبيك . . صدقنى يا بنى لعبك مع أولاد الدكتور ليس له دخل فيما تشكو منه» .

- لكن ماما . .

قاطعه بسرعة متسائلا : « أريد أن أسمع منك بأمانة سبب المشاجرة» .

انتقلت التقطيبة التى كانت على وجه الأب إلى ابنه . . لمعت عيناه . . «أبدًا «جورج» ضربنى «وميلاد» أخذ منى الكرة ، وأحرز منها الهدف . . واضح أنه فاول» .

فوجئ علاء . أخذته الدهشة «جورج» ضربنى ، «وميلاد» أخذ منى الكرة ، عرف سر الخناقة . اكتشف بعد فوات الأوان ذلك الشرخ الخطير الذى كان قائماً . كيف فاته طيلة هذه المدة ؟

LILAS.COM

شاهد الأطفال المسلمين والمسيحيين يلعبون مرارًا . كان فرحاً فخوراً بهم . يبدو أن سعادته أعمته عن رؤية الخلل .

تنبه لكلام ابنه : «هل يرضيك يا بابا أن يكسبنا فريق النمور بهذه الطريقة ؟

ابتسم متسائلا : هل هذا هو اسم الفريق ؟

نعم . . ونحن فريق الوحوش .

زأر الأب : وأنا الأسد !

ضحك الطفل حتى دمعت عيناه بينما والده يقول لنفسه : الأسد ملك الملعب ، لا أحد يقف فى وجهه ، سأعود للعب الكرة وأجمع بين المتخاصمين .

وصلا إلى عيادة الطبيب بشارع «الحسينى» . تساءل المهندس علاء عن نوعية الاستقبال الذى ينتظره . الدكتور «سيدهم» يلقاه فى كل مرة بحرارة ، ولأنه جاره فله امتيازات خاصة . انتظاره لا يطول . الكشف بعشرة جنيهات فقط . يتقاضى عادة ضعف هذا المبلغ من غيره . ترى كيف تكون مقابلة اليوم ؟ هل ستؤثر الخناقة التى نشبت على علاقتهما . . يردد دائماً : «أغلب الشر بالخير . . أيطبقُ قولَه على فعله ؟ عيب على ذقنك يجب أن يكون عندك كرامة . . زوجته قاطعتنا بعد خناقة الأولاد . طرد بسرعة كلمات نسمة من خياله . لكن الدكتور قد «يلطعه» فترة من الوقت إرضاء لمرأته . لن يمكث إلا بضع دقائق فقط كما تعود . أى تغيير فى المعاملة ستدفعه للانصراف على الفور .

تطلع بعينيه فى أرجاء المكان . يبحث فى لهفة عن «موريس» مساعد الطبيب ، وجوده ضرورى بالنسبة له . . يحميه من نظرات زبائن الدكتور وهمساتهم حوله . ترى أين ذهب ؟ جلس مع ابنه فى الانتظار وهو يتململ . لاحظ أن المتكلمين سكتوا فور دخوله . أطلقوا عيونهم نحوه . فيها اتهام . يعرف السبب . لحيته الكثة فى القفص . دليل تطرف . لكننى لست متزمتًا . لو عرفتم أفكارى لأخذتمونى بالأحضان . مر بيده على لحيته فى تلقائية ، هاتف داخلى : أحسنت بحرصك على تهذيبها والاعتناء بها . حصار النظرات ما زال يحيط به هل هذا جزائى يا ربى لأننى أتعامل مع هذا الدكتور ؟ لماذا ينظرون إلىَّ هكذا وكأننى قادم من المريخ ؟ ليس بالضرورة أن يكون كل صاحب لحية متهما . . ابتسمت نفسه ساخرة . . جزاء الخير الريبة والشك !! هل أجدها منكم أم من زوجتى ؟ عيناه فى السقف ، قرر أن يواجه الوجوه المستاءة من وجوده ، لا يخشى شيئًا . أخذ فى تفحص وجوههم . تنطلق بالتحفظ والتحفز فى مواجهته . . هل «لحيتى» مزعجة إلى هذا الحد ؟

أنقذ « موريس » الموقف ، قفل راجعاً إلى مكانه قادماً من حجرة الطبيب ، بمجرد أن رآه تهلل وجهه . . «أهلا يا باش مهندس» . قالها من قلبه . وأرفق بكلامه ابتسامة واسعة . تصافحا فى حرارة . سرت الدهشة بين المنتظرين . شعر مساعد الطبيب بتساؤلات الحاضرين . عرفها من التعجب الذى استولى على كيانهم . أراد أن يجيبهم دون أن يسأله أحد : «المهندس

LIILAS.COM

علاء من أحسن الناس فى المنيا . فى خدمة الجميع .. مسيحيين ومسلمين» .

طردت هذه الشهادة الصمت الكئيب من المكان . دبت الحرارة فيه من جديد . انفرجت أسارير الجالسين . انسحب منها التجهم والوجوم . عادت الأحاديث إلى مجراها الطبيعى .. تلاشى التخوف من المهندس الملتحى . براءة «الذقنه» . انتهت حرب العيون . وقعت عيناه على لوحة مكتوب عليها «الله محبة» احتضنها بقلبه . دستور حياته .

استقبله الدكتور فى حفاوة لم يتوقعها . كان واقفاً عند الباب عندما دخل عليه . أخذ فى مداعبة طفله . أعطاه الحلوى المعتادة .. الحمد لله خناقة الأولاد لم تترك أثرًا عنده . العكس هو الصحيح . ضاعف من ترحيبه ليضمد جراح ما حدث . «المحبة لا تسقط أبدًا» . وضعها بجانب مكتبه . لا يسأم المهندس علاء من النظر إليها كلما جاءه . قال للطبيب شاكرًا : بصراحة لم أتوقع منك هذا الاستقبال» . «وأنا بصراحة لم أنتظر أن تأتى إلى هنا ثانية» .. تضاحكا .

انهمك الكتور فى الكشف على المريض الصغير بعناية . أخذ والده فى تأمل الطبيب .. لا يعرف التعصب . دكتور عظيم . الحمد لله أنه لم يستجب لإلحاح امرأته . انتهى من فحصه . قال للطفل مداعبًا : «عارف أنك أهلاوى .. إذا أخذت الأدوية ستستطيع مشاهدة مباراة الأهلى والزمالك مع أصحابك ، لكن الزمالك سيكسب» .

ابتسم الطفل متسائلاً : ومتى أعود للعب الكرة ؟

- «مسألة وقت .. مطلوب الآن أن تستريح ولا تتشاجر» !

تدخل الأب : «لن يدخل فى عراك مع أحد بعد الآن ، وسيعود من جديد للعب مع أولادك» .

لم يعلق الطفل . الدكتور «سيدهم» لفه الصمت . أخذه الوجوم متذكرًا ما حدث . قال بعد برهة سكون : «حزنت بالفعل لما حدث ، كانت العلاقات طيبة بين الأولاد» .

- «لكن جورج ضربنى بالبوكس» .

- «مسامحين بعضكم بعضا» . آية من العهد الجديد . أطلت على الطبيب . طبع بعدها قبلة على جبين الطفل . التفت إلى والده . المهم أن يكون الكبار على مستوى المسئولية .. لا أوافق فى الواقع على مخاصمة «مارسيل» لكم» .

ابتسم المهندس علاء : «الحال من بعضه . زوجتى أيضًا متشددة فى هذا الموضوع» .

رد معلقًا : «هكذا المرأة دائمًا .. عاطفية لا تطيق أى شىء يمس أولادها» .

فجأة أطلق «الصغير قذيفة» «كبيرة» . قال فى براءة : «ماما أخبرتنى أننى مرضت لأننى لعبت مع النصارى» .

غابت شمس ابتسامة الأب وراء ضباب التعصب . انتفض . يريد أن يفترس ابنه . يود أن يسحقه فى التو واللحظة . فضحتنا .

LILAS.COM

نظر إليه نظرة صارمة أخرسته . قال معتذرًا : «الولد لا يدرى خطورة ما يقول . . أعذره» .

أصابت الطلقة الطبيب بجراح . منعته الإصابة من الحديث . ما أبشع هذا التفكير الطائفى ! تعاظمت صدمته عندما تذكر كلمات «مارسيل» . غضب الرب أصاب الطفل المسلم الذى اعتدى على أولادنا . يبدو أن الكبار قد أصبحوا صغارًا .

حاول الأب التسرية عنه قائلا : «حمزة سيعود من جديد للعب مع جورج . . واثق من ذلك» لم يعلق . جراحه لا تزال غائرة . . بينما كانت هناك فكرة تختمر فى ذهن «علاء» . . سيستغل مباراة الأهلى والزمالك إلى أقصى حد لتحقيق غرضه .

حظى اللقاء باهتمام غير عادى . إنه على الكأس .

قال الأب لإبنه :

«حمزة . . ما رأيك فى إقامة مباراة بين الأهلي والزمالك فى المنيا» ؟

شد كلامه انتباه الطفل . . أسرع إليه مستفسرًا . . «ماذا تقصد» ؟

- «ماتش بين أنصار النادين . . وأنت طبعًا تلعب مع فريق الأهلى» .

- فكر الصغير برهة . . وعلق قائلا : «لكن عبد الله زملكاوى ، وجورج أهلاوى وكذلك ميلاد» .

- رد والده فى هدوء : «لا أرى فى ذلك شيئًا ما المانع أن تلعب

جنبا إلى مع جورج وميلاد ؟ المهم أن تستعد لهذه المباراة ، وإلا وضعناك فى الاحتياطى» !!

- لكن . .

- قطع الأب تردد ابنه : «سألعب معكم . . أنا لا أزال فى سن الشباب . . المهم أن نجد فى فريق الزمالك من يكون فى مثل سنى تقريباً» .

- هتف الطفل فرحاً : الدكتور . . إنه زملكاوى أصيل فشل أن يجعل جورج مثله» .

- «إذن ابنه سيكون معنا» .

- حاول حمزة أن يجرى إلى أمه ليخبرها بما حدث . أمسكه أبوه من ذراعه : لا تفعل ذلك أرجوك . . سنجعلها مفاجأة .

اتصل المهندس علاء بالدكتور «سيدهم» . عرض عليه الفكرة . تحمس لها : «سنثأر للزمالك ، رغم أننى لم أمارس الكرة منذ مدة طويلة» .

- رد ضاحكاً : «البركة فى بقية الفرقة . . عبد الله وأحمد وبرسوم وتادرس» .

- بادله الطبيب الضحكات قائلا : لكن فريقكم قوى . . فيه لاعبون محترفون . . ابنى جورج لاعب ممتاز وابنك حمزة ولد عفريت ، أما محمود فهو مثل الحائط فى طوله وعرضه يصلح تماماً لحراسة المرمى .

LIILAS.COM

قهقهه المهندس : نسيت ميلاد . . «بوشكاش» زمانه .

تصافح الفريقان قبل أن يلعبا . كابتن الأهلى «علاء» فى غاية السعادة ، نجحت خطته . المسلم يلعب إلى جانب المسيحى ، صافحه «سيدهم» رئيس فريق الزمالك . شد على يديه فى حرارة قائلا : «هذا الماتش مكسب لنا جميعاً . . عدت به إلى أيام الشباب ولعب الكرة» .

– «البركة فى الأهلى والزمالك» . . قالها الباش مهندس مبتسمًا .

بدأت المباراة بين أنصار الناديين الكبيرين . . ليس فيها هذه المرة غالب ولا مغلوب .

الشيخ إحسان ليس أبى !

رفضت الاتصال بالفنانة فاتن حمامة لأخبرها بما حدث . . بالتأكيد لن تصدق هذا الذى وقع ، وستدعو لى بالشفاء !! ثم إن عبد الحليم حافظ مات منذ سنوات ، فكيف سأصل إليه ؟؟ ولبنى عبد العزيز اعتزلت الفن منذ مدة طويلة . . من أين لى أن أعرف طريقها ؟؟ جلست حائرا فى هذه الأسماء التى رددها أبى فى صوت خافت . . ودعونى أروى لكم حكايتى من أولها .

والدى الحبيب العزيز الغالى إحسان عبد القدوس شاهدته أخيرا بعد سنوات من الفراق . . لا تقل لى أين وكيف حدث ذلك . . المهم أننى رأيته من بعيد . . نعم وإنه هو بابتسامته العذبة وشعره الأبيض الجميل . . أبى حبيبى . . أحبك . . أحبك ، لم أنساك لحظة واحدة طيلة هذه المدة ، انظر إلى بيتنا يابابا . . إنه هو كما تركته بالضبط ، حجرة مكتبك لم تتغير على الإطلاق . . كل شىء كما تركته بالضبط يا أعز الناس . هرعت إليه لأرتمى فى أحضانه ، وأتعلق به ، ولا أفارقه أبدا ، وعندما اقتربت اصطدمت بقضبان غير مرئية منعتنى من الوصول إليه . . صرخت مناديا أغلى الناس ، وكلما حاولت التقدم منه منعنى هذا الشىء الملعون الذى لا أراه . . أبى سجين . . تحيط به قضبان سرية لا يراها أحد ، ثم الأعجب أنه يرتدى زى شيخ ! لم أصدق عينى فى البداية ، لكن عندما دققت النظر شاهدت العجب العجاب . . إحسان عبد

LIILAS.COM

القدوس يرتدى ملابس رجل دين ، يبدو على ملامحه التجهم والضيق . . وكأن هذه الملابس تقيده . . اختفت ابتسامته الحلوة التى رأيتها من بعيد . . إحسان عبد القدوس . . . فى زى شيخ . . لا يعقل . . مستحيل . . شخصيته غير طبيعية . . بالتأكيد هو مؤمن وموحد بالله ، كان يصلى ، لكنه ليس شيخا . . إنه كاتب . . أديب فنان . . صرخت : «أبى ماذا جرى لك» ؟ نظر نحوى فى توسل مستنجدا ، سمعت منه إجابة خافتة : «فاتن حمامة ، لبنى عبد العزيز . . عبد الحليم حافظ» ! لم أفهم شيئا من هذا الذى يجرى . . أبى سجين أريد فك أسره . . ما دَخْلُ هؤلاء الفنانين فى ذلك ؟ يارب ارحمنى . . انقذ والدى . . إننى أعرف أن «مجدى العمروسى» المحامى هو الأمين على تراث عبد الحليم حافظ . . ماذا سأقول له . . لا يمكن أن أخبره أننى رأيت أبى فى زى شيخ وهو ينادى عبد الحليم . . شىء لا يصدق . . هل أصابتنى لوثة دينية وفنية معاً . . لا . . لا . . ما رأيته وقع بالفعل .

وفجأة تذكرت .

«كل هؤلاء الذين ذكرهم أبى من الفنانين هم أبطال قصصه التى ظهرت فى السينما» .

وأسرعت إلى أفلام أبى القديمة أشاهدها من جديد لعلى أكتشف فيها ما يساعدنى على فك أسره . . رأيت فى الفيديو الوسادة الخالية بطولة عبد الحليم حافظ ولبنى عبد العزيز بالاشتراك مع زهرة العلا وعمر الحريرى ، فى هذا الفيلم غنَّى «حليم» أجمل أغانيه ، وقصته الحب الأول الذى يمكن للإنسان أن

ينساه إذا وجد حبًا آخر حقيقيا فى حياته . شاهدت «أنا حرة» بطلتها لبنى عبد العزيز وشكرى سرحان وجَدّى محمد عبد القدوس الذى قام بدور والدها وكذلك حسن يوسف شقيقها فى الفيلم ، وعن المحور الذى تدور عليه قصة أنا حرة كتب أبى يقول : «ليس هناك حرية مطلقة . . فالحرية مسئولية ، وقبل أن تطالب بحريتك اسأل نفسك لأى غرض ستهبها» . . كلام فى منتهى العقل رأيت فاتن حمامة فى «الطريق المسدود» . . فتاة شريفة وسط أسرة منحلة ، وشاهدتها فى «لا أنام» تقوم بدور فتاة صغيرة مريضة شريرة . . وكل هذه القصص نماذج لواقع من حياتنا عرضه والدى فى منتهى الإتقان . . كان كاتبا بارعا بحق . . فما الذى جرى ، ومن هذا الذى ألبسه زى شيخ ؟؟

لم أكتشف فى هذه الأفلام ما يمكن أن ينقذ أبى ويفك أسره . . إنه يلح . . يتوسل لكى أنقذه» . . تدخل لتنجد أباك» . . مصيبة . . مصيبة . . أبى مسجون يتطلع إلى ابنه لينقذه ، وأنا مشلول الحركة لا أدرى ماذا أفعل . . أخذت أصلى . . أبكى . . أتضرع إلى الله بحرارة . . يارب . . بابا . . أرجوك ساعدنى فى إنقاذه .

وجاءنى هاتف يقول : اقرأ القصص . . صوت أخذ يرتفع تدريجيا حتى تحول إلى رنين ضخم له أصداء فى كل مكان . . اقرأ القصص . . اقرأ القصص . . قصص . . قصص . . قصص . . حاولت أن أتبين صوت والدى فلم أستطع . . إن هذا النداء قادم من السماء . . شكرا يا رب وصلت الرسالة ، لكن الصوت ما زال

LIILAS.COM

يدوى ، ترى كيف أوقفه . . سددت أذنى بلا فائدة . . طنين يملأ رأسى وكيانى كله . . «يارب» . . ناديته مخلصا فأخذ هذا الصوت يتلاشى تدريجيا حتى اختفى .

ترى من أين أبدأ القراءة ؟ لم أجد عناء فى معرفة الإجابة . . وضعت نصب عينى القصص التى تحولت إلى أفلام وذكر والدى أسماء نجومها . . لماذا لم يذكر أسماء هذه القصص صراحة ، ما الذى حال دون ذلك ؟ بدأت فى قراءة قصة «أنا حرة» . . وهالنى ما رأيت ، فيها تشويه فظيع ، أكثر من مائة اعتداء على النص الأصلى ، ليس هذا «إحسان عبد القدوس» . . الكاتب المبدع ، ظهر فى الطبعة الجديدة من قصته مجرد شبح متجهم يحمل مسبحة بيده وفي اليد الأخرى عصا ينهال بها على قرائه وأبطاله . . صفة الجهل شائعة . . «احتار الأب والأم الجاهلان ماذا يفعلان بالبنت» ؟ الجاهلان هذه كلمة دخيلة لم يكتبها أبى أبدا . . القصة تغيرت ، إنها تنتهى بجملة واحدة : «أنا حرة» . . لكن المعتدى أضاف فى ختامها جملة وعظ أفقدها طابعا الأدبى : «وظنت لجهلها أن الزواج قيد ، وعاشت حياة فاسدة مبتذلة بسبب فهمها الخاطئ للحرية» !! عرفت الآن سر أزمة أبى . . لقد حاول ناشر كتبه إلباسه زى شيخ ! تحويل تراثه إلى مجموعة مواعظ !! لم تعد أمينة بطلة قصة أنا حرة . . حرة . . لو تركوها لإرادتها لتغلبت على ترددها فى النهاية وتزوجت «عباس» الرجل الوطنى الذى تحبه ، لكنهم ألصقوا بها كل نقيصة ، ووصموها بأبشع التهم . . لابد من التدخل فورا لإنقاذها .

وتم إعلان حالة الطوارئ فى منزل إحسان عبد القدوس رحمه الله . . أقيمت غرفة عمليات ضمتنى أنا وأخى أحمد ، وبعض الصحفيين والكتاب من عشاق والدى على رأسهم صديقى حلمى نمنم بدار الهلال ، استعنا فى عملنا بعدد من المصححين ، بدأنا مراجعة شاملة لكل كتب والدى ، فوجئنا بما لم نتوقعه أبدا التشويه والتزوير والإضافة والحذف شمل عشرات القصص . . أنا حرة . . الطريق المسدود . . علبة من الصفيح . . أنف وثلاث عيون ، زوجات ضائعات . . حتى كتبه الأولى لم تسلم من حقدهم . . عبثوا «بمنتهى الحب» «وصانع الحب وبائع الحب» قاموا بتشويه الحب الذى كان يدعو إليه طيلة حياته . . ماذا فعلوا بك يا أبى ؟ كان معك حق عندما تدخلت طالبا النجدة لإنقاذ كتبك . . لم تقدر على الصمت وأنت فى عليائك . . «ولا شىء يهم» . . بل قلت «آسف لم أعد أستطيع» ، طلبت منى ومن أخى أحمد التصدى للمعتدين على كتبك . . «أنا حرة» ستبقى حرة . والطريق المسدود سيظل كما تريده .

وبدأت أرى ثمار دفاعنا عن تراث الحبيب الغالى . . شاهدت قيوده تنكسر الواحدة تلو الأخرى . . الحمد لله . . ابتسامته الحلوة عادت إليه . . رائع وهو يبتسم .

«شكرا يا «مادا» . . أرجوك اشكر أحمد» . . «مادا» . . «مادا» . . هذا هو اسم الدلع الذى كان ينادينى به دائما .

بابا . . «أريد الإقتراب منك وتقبيلك» .

LIILAS.COM

أجاب بابتسامته الحلوة : «هذا أمر صعب ، فنحن نعيش فى عالمين مختلفين تماما ، لكننى سأرسل لك قبلة من بعيد» .

وكانت المفاجأة المذهلة . . انطبعت قبلة أبى على جبينى رغم أنه لم يقترب منى . . أجمل قبلة تلقيتها فى حياتى . . كيف حدث هذا ؟ . . عجيب ذلك العالم الآخر الذى يعيش فيه أبى !

ورأيت حبيبى ينطلق إلى السماء . . إنه سعيد حيث يوجد ، ملامح وجهه تنطق بذلك . . أراه متلهفا لمغادرة دنيانا إلى المكان الذى لا يدرى أحد أين يقع ، حاولت أن أفرح لسعادته ، لكن فراقه أحزننى دائما . . سقطت دمعة منى مسحتها بسرعة متغلبا على آلامى وأنا أقول : «الحمد لله . . أبى بخير . . شكرا لك يارب» .

«قلب» حبيبتى لولا

آلامها شفته . انتفض من سرير مرضه . أسرع إليها . شبح الموت يخيم عليها . . لدغته الكلمة التى قالتها : «أنا تعبانه» . كانت قد انتهت تواً من إعطائه الدواء . تساءل فى لهفة : «هل جاءتك الحالة مرة أخرى ؟» أجابت فى استسلام مبتسم : «يبدو ذلك . . ولكن الأهم صحتك أنت . . لا أدرى لماذا طالت معك الإنفلونزا هذه المرة ؟» . احتد فى رقة : «أمرى غير مهم ، سلامتك هى الأساس . . سنذهب إلى المستشفى فوراً» . بدأت ابتسامتها تتلاشى ، تشعر بضيق فى التنفس . اتصالات سريعة بزملائه الأطباء . تكتمت الألم الذى يزداد . لا تريد إزعاج زوجها . ترفض أن يحمل الناس همومها . انشغلت فى ترتيب أمورها ، عجيبة ست «لولا» . منظمة حتى فى اللحظات الحرجة ، اتجهت إلى دولابها . أغلقته بسلسلة مفاتيح ذهبية ، نظر إليها فى دهشة : «يا ستى مش وقته» . لم ترد . حشرجة فى صدرها . أنفاسها غير منتظمة ، صاعدة هابطة ، هابطة صاعدة . تشعر بالاختناق . «ربنا كبير» . قبلة على جبينها . «يا حبيبتى «يالولا» . بحبك قوى» . لا يتصور الحياة بدونها ، سار بجانبها يسندها كما ساندته فى حياته . نظرة أخيرة على بيتها . هنا عاشت عمرها يشهد منزلها بذوقها . كل قطعة من صنعها . ترى هل ستعود إليه من جديد ؟ ركبا المصعد . رغم ضعفها أمسكت بقوة بسلسلة

LILAS.COM

مفاتيحها الذهبية . منقوش عليها اسمها وزوجها . تاريخ التعارف . بداية الحياة المشتركة من ربع قرن . نظرت إليه . فرّت دمعة . «خلى بالك من نفسك يا أحمد» . اتسع الذعر بين عينيه . يارب تستر . أرجوك احفظها . لا حياة لى بدونها . مصيبة . . كارثة إذا جرى لها أى شىء .

انطلقت السيارة تنهب الأرض نهباً . سباق مع الموت . «على مهلك يا أحمد السرعة لن تزيد أو تنقص من عمرى» . صمت قصير ، توجس ، بعدها استأذنت من ضعفها قائلة فى قوة : «محمد ابننا . .خائفة عليه ، مهمتك الأولى أن ترعاه وتساعده فى الزواج ، لا تسمح لأحد أن يتدخل بينكما» . حاول رفع معنوياتها ومعنوياته : «إن شاء الله ستمر هذه الأزمة كما مرت سابقتها» . «مش باين» قالتها فى نفسها ورفض لسانها النطق بها . سرح خيالها مع فلذة كبدها . . تخرج تواً من التجارة . تساعده فى البحث عن عروس ، يريدها محجبة ، ترى ماذا سيفعل دونها ؟ . . كارثة إذا تزوج أبوه من بعدها . أى امرأة أخرى لن تملأ مكانها ، لكنها تخشى على ابنها ، يارب اعطنى من العمر بضعة أشهر فقط حتى أطمئن عليه . خائفة . . خائفة . . تنهج ، تنهج . . متوكلة عليك يا قادر على كل شىء . . تجمعت دموعها . لا لن أبكى . طردت السحب الغائمة من عينيها ، تتشهد ، تقرأ المعوذتين . أخيراً وصلا . . نزلت من السيارة . تبدو متماسكة . نظر إليها زوجها معجباً . قوية حتى وهى تتألم ، يا سلام يا ست يا عظيمة . . لماذا

لا يستمد منها تلك القوة ؟ إنه ضعيف . يكاد ينهار . مريض بمرض «لولا» . أمسك الطبيب رسغها . قاس النبض . . «ياه مرتفع للغاية ١٧٠ نبضة فى الدقيقة ، يكاد يكون ضعف النبض الطبيعى . الحالة خطيرة . بكى . أملى كله فيك يارب . أرجوك انقذها . حياتى بعدها معدومة . طول عمرى أتمنى أن أموت قبلها . يا قادر . . قادر على كل شىء ، تذكّر محمداً . كيف سيتلقى الصدمة ؟ يحب أمه كثيراً . لكن أين هو ؟ كيف يتصل به ؟ أصاب تفكيره العطب . شاهد الطبيب خارجاً من غرفة الإنعاش . خير يا دكتور «صدمته الإجابة» ضغطها فظيع ١٢٠/٢٠٠ ربنا يستر . ما الذى حدث لها ؟ أبداً كانت «زى الفل» . . أنا المريض وهى السليمة . . فجأة اشتكت من التعب . ثالث مرة يهاجمها المرض اللعين» . تساءل فى لهفة : «هل هناك أمل فى إنقاذها كما حدث من قبل؟» نبذل جهدنا فى ذلك . . أعطيناها بعض المحاليل لتخفيض الضغط منها محلول يسمى «نبريد» . . أدعو الله» . . يارب . . أخرجها من أعماقه . نفس هذا الموقف تكرر منذ شهرين . . ذهبا لزيارة بيت الله الحرام ، وبعدها بأيام وقعت الواقعة . كادت تموت . أفلتت من الموت بمعجزة . يارب ، تعرف كم أحتاج إليها . كل شىء فى حياتى . أعباء المنزل كلها على عاتقها . . أعفته من أى مسئولية . متفرغ فقط لعمله كدكتور للنساء والتوليد . ابتسم وسط الضباب . تذكر عندما كان يمازحها قائلاً : «أنت رئيسة مجلس إدارة منزلنا . رجل البيت» ! كانت تضحك وتضحك . . ترى هل ستعود أيام الضحك من جديد ؟ غاصت ابتسامته . تلقى صفعة من ضميره . . حزين على زوجتك

LIILAS.COM

يا منافق لغرض فى نفسك . . تحتاج إليها . . لأنها العصا التى تتوكأ فى حياتك عليها . . دافع عن نفسه . . الموضوع ليس هكذا أبداً . . بحبك «يالولا» . . أنت الأم والأخت والزوجة والصديقة والحبيبة . . سالت قطرات من دمعه وردد لسانه : «لا تتركينى يا حبيبتى . . عايزك . . عايزك . .» فجأة وجد ابنه أمامه . . بسم الله الرحمن الرحيم . . من أين جاء ؟ كيف عرف الخبر ؟ أمى ماذا جرى لها ؟ شرح له حالتها . الضغط اللعين عاودها . ادع الله أن ينقذها . . يارب «ياابا إحساسى كان فى محله . اتصلت بالمنزل ، لم يرد أحد . . شعرت بانقباض . . جريت على البيت . أخبرنى البواب أنكم فى المستشفى . خرجت ممرضة من غرفة الإنعاش تهرول . يارب تستر . أمسك الابن بكتفها . «ماذا حدث ؟ تملصت منه قائلة : «حالتها صعبة . . . الأمل فى ربنا كبير» هناك بصيص من ضوء الأمل . تسلل داخل الحجرة منتهزاً فرصة انفتاح الباب . . شاهدها . . تبدو ذابلة . أمى القوية العظيمة ما لها بهذا الضعف ؟ . الدنيا كانت تجرى فى وجنتيها ، لكنها اليوم فى لون لم يره من قبل ، كأن الموت له طيف خاص لا يشاركه فيه أحد . انقبض صدره . جهاز أوكسجين على وجهها فى محاولة لضخ الحياة إليها . أسلاك على صدرها متصلة بجهاز مُونِيتُور Monitor لمتابعة ضربات القلب . واضح عدم انتظامه . وقف قبالتها صامتاً . رنت فى أذنيه كلمات قالتها له قبل أسابيع . «لا أحب الشيوخ الذين يتحدثون كثيراً عن الجحيم والعذاب الذى ينتظر الإنسان فى الآخرة . . ربنا كبير . . غفور رحيم ، مهمة علماء الدين أن تجعل الناس تحب الله قبل أن تخاف منه» . معك حق يا ماما فى

كل كلمة . . الحب محور كيانها ، فتحت عينيها . . نظرت إليه . شبح ابتسامة . . الحمد لله . . الحمد لله . . أمسك بيدها . . قبلات . . قبلات . . قبلات . . يا حبيبتى يا ماما . . حبس دموعه «اتفضل من غير مطرود» . جاءه صوت الطبيب حاداً معنفاً . لم يغضب إنه ملاك الرحمة . وظيفته إنقاذ أمى . خرج . رأى «نانا» جارتهم الفنانة ، تساءلت فى هلع عما حدث . تبكى بحرقة . . حاول بث السكينة فى قلبها دون جدوى . فاقد الشىء لا يعطيه . قالت فى صوت حزين وسط عزف من دموعها : غير معقول . . كنت معها منذ ساعات قليلة على مائدة الغداء ، لم يكن بها أى شىء ، وتحدثنا طويلاً طويلاً . . استرجعت بخيالها تفاصيل ما دار بينهما . . «فيلمك الأخير رائع . . أخيراً خرجت من نطاق الإغراء . نجحت فى تقمص شخصية من طراز مختلف» . . تشجعها دائماً على الإجادة . سيدة عظيمة كلها حنان . خرج الطبيب من الغرفة مكتئباً . سأله الثلاثة فى نفس واحد عن حالتها . أجاب باقتضاب حزين : «الضغط أحسن ، لكن قلبها . . تعبان قوى» . ألقى التجهم القبض على الأب وابنه ، بينما هجم البكاء على جارتهم ، تمكنت من صده عندما عاشت فى خواطرها مع «لولا» . أكثر إنسانة تفهمنى فى هذا الكون ، تجيد الإصغاء ، تهتم بكل ما أقوله ولو كان تافهاً ، لا أتذكر مرة أنها طلبت الجلوس إليها فاعتذرت ، دائماً تعطيها من وقتها ، تفضى لها بكل أسرارها : «الحياة مع زوجى أصبحت لا تطاق ، غيور إلى درجة الجنون ، كما أنه بخيل جلدة ! يعتمد على ما أكسبه ، ويطلب منى أن أصرف

LIILAS.COM

عليه» . لا تستطيع أن تتحدث حتى مع أمها بهذه الطلاقة . . عصبية بعيدة عنها ، تحبها لكنها لا تفهمها . «لولا» شيء مختلف . . ستعيش . . ستعيش يارب احفظها يارب . . يحاول محمد أن يدخل غرفة الإنعاش مجدداً . . صوت من الداخل : «آسف الموقف خطير . . اصبر .» «وقلبها ماذا فعلتم به ؟» .

«أعطيناه منشطات لعل وعسى» قال الابن متلهفا» : «أرجوك اسمح لى بالدخول ، قادر على تحريك قلبها بقوة ، أنا الوحيد الذى أستطيع ذلك» «ياراجل عيب . تماسك . . أنت بذقن وسنى . . أين الإيمان إذن» . . لم يستطع حبس دموعه . أطلق سراحها . انطلقت . زلزال . أمه معه دائماً . . لمن تتركه ! ماما حبيبتى . تفهمته فى كل الأحوال . لا ينسى موقفها عندما أطلق لحيته . الاتهامات انهالت عليه . أنت متطرف . أمه وحدها وقفت بجانبه . ابنى تربيتى . أعرفه جيداً . لايمكن أن يتشدد أو يكره أحداً . قلبه كبير بيحب ربنا والناس والدنيا . حرص على هندامه بفضلها : «عايزاك تكون إنسان شيك ومتدين . . الله جميل يحب الجمال» مَنْ مثْلُ أمى فى هذا الوجود ؟! جاءه صوت نانا : «يا محمد أقرأ القرآن حتى يحفظها الله» . «وإذا مرضت فهو يشفين» . . يارب اشفيها يارب . «والذى يميتنى ثم يحيين» . . اهتز لهذه الآية . . أنا أموت وأمى لا . . «والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين» حسنات ماما تفوق سيئاتها بمراحل لكن «نانا» الجالسة خطاياها كثيرة . . استسلم لخياله وهو يستعرض علاقة أمه بها . . تعجب من قوة الصداقة بينهما . . «نانا بنت غلبانه . . لا يغرنك جمالها وشقاوتها

وضحكتها . . أبوها وأمها «مطلقين» ، مسكينة مثل اليتيمة . مشاكلها عديدة وتعتبرنى فى مقام والدتها . يتذكر دفاعها الحار عنها فى مناقشة بينهما : «يا ماما . . جارتك الفنانة امرأة لعوب وماشية على حل شعرها ، وأفلامها مفسدة للشباب» .

ردت فى إصرار : أبداً فيها خير كثير ، وأنا متأكدة أن ربنا سيهديها . . مكسب كبير إذا حدث ذلك ، فنانة قديرة ويمكن أن تخدم الأخلاق والقيم من خلال السينما والفن . . .» .

كلام غير معقول . . كيف تطلبين من إبليس أن يخدم الإسلام ؟؟

أجابت محتدة : وأنت كيف تدّعى أنك متدين وتفكر بهذه العقلية ؟

سمع صيحة مختنقة «يا حبيبتى يا لولا» . . قالتها نانا بصدق . . نظر إليها محمد مشفقاً . حزينة من قلبها على أمه . . هذا القلب تفاعل معها ، نجح فى تغييرها إلى الأحسن ، أما هو فقد اكتفى باحتقارها ؛ ود لو اعتذر لها . . يا سلام عليك يا أمى عندك براعة فى تغيير سلوكيات الناس بقلبك الكبير . . معين لا ينفد من العطاء . لكن أين بابا . إنه لا يراه . اختفى . . عجيبة . كان هنا منذ ثوان . شاهده قادماً من حجرة جانبية . «ماذا كنت تفعل عندك ؟ رد مرتبكاً «لا شيء ، لا شيء . . عيناه محمرتان . . فهم كل شيء فجأة انطلق الأب قائلاً : «الدكتور أحمد هذا الاسم الكبير فى عالم الولادة صنعته والدتكم . «لولا» صاحبة فضل عظيم علينا جميعاً . . أنا عصبى دائماً بسبب عملى . أغضب وأثور لأتفه الأسباب . تحملتنى بقلبها الكبير ، لم أكافئها إلا بمزيد

LIILAS.COM

من العصبية والثورة» . . تساقطت حبات من الدمع ، مسحها بسرعة قائلاً فى حماس : «زوجة مثالية بالفعل . . كنت أخلف مواعيدى معها يومى السبت والأربعاء . طرأت دهشة مؤقتة على وجه «نانا» متسائلة عن حكاية هذين اليومين ، جاءتها الإجابة : اتفقنا منذ زواجنا على الخروج سوياً للنزهة كل يوم سبت وأربعاء . هذا الوقت مخصص لها وحدها للترفيه عنها . للأسف كانت تأتى حالات ولادة مستعجلة لإفساد نزهة حبيبتى . . تصورى يا نانا أحيانا تكون مستعدة للخروج جاهزة وآخر شياكة فى انتظارى فاتصل بها لأعتذر بسبب عملى فلا تغضب أو تثور وكل ما تقوله : «ربنا معاك» . أوشك على البكاء من جديد . صاوع نفسه قائلاً : وربنا معاك أنت يا أعز الناس . . وانتصرت دموعه . سادت الميدان . انسحبت بعد فترة نظر إلى «مادا ونانا» : تعرفوا يا أولاد . . سأفشى لكما سراً . . عندما اجتازت «لولا» أزمتها الأخيرة جثيت على ركبتى بالقرب من سريرها فى المستشفى . قبلت يدها . . طلبت منها أن تغفر ذنوبى التى ارتكبتها فى حقها وما أكثرها ! سكت . سرح . لم يستطع الاستمرار فى الكلام . كم من مرة أغضب زوجته . أتعبها كثيراً . فى حياته نساء كثيرات . . لا . . مجرد نزوات يعود بعدها إلى «لولا» لتغفر له أخطاءه ، مثلما تغفر الأم للابن شقاوته . لم تستطع واحدة أن تزحزح ست الكل من مكانها . انفتح باب غرفة الإنعاش . شخص قدم متجهما بدأ فى تسليم حاجتها . انقبضت الصدور . هل توقف قلبها ؟ يقاوم إلى الرمق الأخير . يعلم حاجة الأحياء إليه . أمسكت يد الزوج المرتعشة بما يخصها . . المحفظة ، الروب الأزرق . . أين السلسلة

الذهبية ؟ مكثت معها أكثر من عشرين سنة . جزء منها . بها كل المفاتيح . لم تتركها حتى فى مرضها . أصابه الذعر . . أين السلسلة ؟ المفاتيح ؟ هل سقطت منها بالشارع أم فى السيارة ؟ وكأن مَسّاً ركبه ، يبحث فى كل مكان . . السلسلة . . ترك المستشفى . . هرول للخارج . السلسلة . . أخذ يفتش هنا وهناك ولا أثر . . خسارة ، قيمتها «غالية» . تشاءم . رآها من علامات النهاية . عاد إلى المستشفى متوجساً ، . طبول الموت تدق فؤاده . توقع ضياع «الغالية» ذاتها . آه إنه القدر .

LIILAS.COM

عشرة آلاف جنيه

الله أكبر . . بسم الله الرحمن الرحيم . . الحمد لله رب العالمين . . . ألف شكر لك وحمد يارب . عشرة آلاف جنيه دفعة واحدة . . بعد أيام سيدخل جيبى أكبر مبلغ فى حياتى كلها . . ثمرة ثلاثين سنة خدمة . . الحمد لله ، لكن ماذا سأفعل بكل هذا المال ؟ هل أضعه فى البنك ؟ جزء منه يجب أن يكون تحت يدى . . . و . . . ركع المصلون «سبحان ربى العظيم . . سبحان ربي العظيم» . الشقة أثاثها قديم . تحتاج إلى تجديد . . «سمع الله لمن حمده» . رفع رأسه «ربنا لك الحمد والشكر» . . . انتهت سنوات خدمتى على خير . . من موظف صغير حتى مدير عام . . لم أسرق أو أرتش كما يفعل غيرى . من حقى أن أفخر بذلك «الله أكبر» سجد ، «سبحان ربى الأعلى» قالها ثلاثا . أول مرة أصلى العصر جماعة فى الجامع ، لكن لابد من التركيز حتى يتقبل الله صلاتى . رفع رأسه من السجدة الأولى ، سجد من جديد ، شغلتنى الدنيا بالفعل ، لم أكن مواظبا إلا على الجمعة فقط . إن شاء الله سأصلح نفسى . لم يعد فى العمر بقية . . وربنا غفور رحيم على ما فات . . ولابد من تأدية السنن أيضا تعويضا عن تقصيرى . . لكننى لست معتادا عليها . . الله أكبر . . يا خبر انتهت الركعة الأولى .

حاول التركيز وهو يقرأ الفاتحة وما تيسر من القرآن فى الركعة الثانية ، داهمه موضوع جديد . تذكر أن زوجته لها حق فى جزء

من المبلغ . رفيقة كفاحه شريكة حياته . هل يعطيها نقودا ؟ أو يشترى لها خاتما ثمينا ؟ تنبه لنفسه . الصلاة . بهذه الطريقة لا تصلح . يارب ساعدنى فى التغلب على الشيطان . يحاول أن يفسد صلاتى . انتصر عليه مؤخراً . أقلع عن شرب الخمر نهائياً . لكن يبقى التدخين . . مشكلة بالفعل . هذا الإمام يطيل فى صلاته ؟ «زهقان» من الوقفة متململ . متى يركع ؟ نبى الإسلام كان رفيقا بالناس فى صلاته . . سأخصص جزءاً من المبلغ للحج هذا العام وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام . . وصل إلى الستين ولم تعرف قدمه الطريق إلى بيت الله . ما تبقى من العمر أقل مما فات . كيف سيقابل ربه ؟ يا شيخ حرام عليك . قالها فى سره وهو ينظر إلى «فقا» الإمام الذى يؤم الصلاة . لا يجوز لك أن تطيل هكذا . . ركع أخيراً . «سبحان ربى العظيم» رددها ثلاثاً . انتظر أن يرفع إمام المسجد رأسه دون جدوى . يا أخى ارحمنى . . كل «ده» ركوع ؟ ماذا تقول فيه ؟ رحمه الشيخ . . اعتدل بعد لحظات . . سجد وأطال فى سجوده . لا . . هذا الإمام لا يصلح . . سأبحث عن مسجد آخر . . للأسف لا توجد أماكن قريبة . إذن سأطلب منه أن يخفف من صلاته . . الله أكبر . . رفع رأسه ثم سجد من جديد . . من الأفضل أن يحدثه أحد المسئولين عن المسجد . . من يا ترى يقدر على ذلك؟ فتش فى مخيلته . . عثر على الحاج أحمد . . لكن هل يوافق ؟ ارتفعت الرءوس من جديد . قرأ نصف التحيات . فى انتظار قيام الإمام . أطلت عليه ابنته «نهى» تذكرها فى صلاته لابد من تجهيزها أولا لكنه يريد الحج ، فالعمر يجرى .

LIILAS.COM

بدأت الركعة الثالثة وهو حائر فى هذا الموضوع . هل يستفتى هذا الإمام ؟ لا . . أبداً . . بطئ . . بطئ فى صلاته . الشيخ السابق ، كان ودودا رحيما بالمصلين ، لو كان حى لأخذ برأيه و . . . الله أكبر . . . ركع وسجد . . . لا يعرف شيوخا حتى يسألهم . . المهم أن يحصل على المبلغ أولا . . كلها يومان . . الجمعة والسبت . ترى أين يصلى الجمعة غداً ؟ مع هذا الإمام مستحيل ! لن أنسى «علقة» الأسبوع الماضى ، ساعة كاملة وهو يتحدث . . يعيد ويزيد فى الخطبة . . فعلتها مرة وبعدها «توبة» . شتان بين الإمام السابق وذلك الشيخ ، الأول كان يستريح معه ، خطبته قصيرة . . موجزة ومفهومة .

تساءل عن الخشوع فى الصلاة وهو يؤدى الركعة الأخيرة . تأسف . انتابه الحزن لن يحصل على ثواب صلاة الجماعة .

من الأفضل أن أستريح فى بيتى ! نظر من طرف عينيه إلى هؤلاء الذين يبكون وهم واقفون بين يدى الله ، عجيبة ! كيف يتحكمون فى أنفسهم ويركزون كل تفكيرهم في الصلاة ؟ من أين لهم هذه المقدرة ؟ بالإرادة يمكن أن أصبح واحداً منهم . . ربنا قادر على كل شىء . . المهم أن أواظب على اعتياد الجامع ولا أتكاسل ، سأمكث فى بيتى طويلا طويلا . . عاطل بلا عمل . . الله أكبر . . ركع . . ثم سجد ، بعدها أخذ في قراءة التحيات وعقله مشغول بحياته بعد المعاش . . ممتلئ نشاطاً وحيوية . . لابد من البحث عن وظيفة تناسبنى فى شركة قطاع خاص . . عندى خبرة ضخمة كمحاسب . . لكن الأمر يحتاج إلى «واسطة» . . واسطتى ربنا

فقط . . ليس لى أصحاب من ذوى النفوذ فى الدنيا . . رئيس الشركة لا يمكن أن يتحدث مع أحد من أصحابه فى شأنى . . أنانى لا يهمه إلا نفسه . . يارب ساعدنى . . لكن الشغل يمكن تأجيله . . المهم أولا أن أحصل على المبلغ . . عشرة آلاف جنيه . . عشرة آلاف جنيه . . . . ستكون بين يدى بعد أيام عشرة آلاف جنيه . «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» .

ما هذا ؟ انتهت الصلاة . فوجئ . صلاتى هذه غير محسوبة ، كان عقلى فى واد آخر ، يارب سامحنى . . أفضل شىء أن أصلى المغرب أو العشاء جماعة ، فى هذه الأوقات ينطلق الإمام بصوته الجهورى فلا يترك لى فرصة لكى أسرح ، هذا الشيخ بالذات صوته عال ، يصل إلى الشارع دون الحاجة إلى ميكروفون ، لكن عيبه أنه بطئ فى صلاته . .

قفز إلى ذهنه سؤال : لماذا لا يتحمله وكله بثوابه ، وخصوصاً أن عنده وقت فراغ . . ابتسمت نفسه فى حسرة : لست مشغولاً حتى أهرب منه ، أفاق من تأملاته . . واحد من أصدقائه جاء ليسلم عليه . . وجهه متهلل : «أول مرة أراك تصلى العصر معنا فى الجامع» . «أوجعه بكلامه» ، رد فى نفسه : «ومن أدراك أننى صليت بالفعل» .

LILAS.COM

باريس.. «Merci»

«الدنيا بتتكلم عربى» . . هل تصمت ؟ يبدو أن الأوان قد حان لكى تخرس !!

ذاهبة إلى رئيسها . . متعثرة خطواتها . مضطربة أفكارها . تتساءل عن سبب استدعائها . هل علم بما يدور فى رأسها ؟ بالأمس دافعت عن صاحبتها .

استنكرت استبعادها بسبب لباسها ، ستنكر أنها قررت أن تحذو حذوها ، بل ستتركها وحدها تواجه مصيرها . حرام والله ما حدث لها ، لكن برنامجها بالدنيا كلها ، ما فائدة الدفاع عنها ؟ الطرد فى انتظارها إذا قالت كلمة صدق فى حقها . كيف تكون شجاعة وسط أنذال ؟ معجبة بجرأة «عفاف» إرادتها حديدية . تتمنى أن تفعل مثلها ، لكن الصمت من ذهب وسط هذا الجو المرعب . . مفروض أن تمشى بجوار الحائط إذا أرادت الاستمرار كمذيعة ناجحة . قالت نفسها لنفسها : نذالة . . خسة . . جبن . . إذا لم تستطيعى أن تكونى مثلها على الأقل واصلى الدفاع عنها . . برنامجى ما مصيره ؟ أبداً لن أتخلى عنه الدنيا بتتكلم عربى . . ستظل كذلك .

دخلت حجرة مديرها . اشتد خفقان قلبها . فى انتظار طلبها . ألوان فاقعة على وجه السكرتيرة . لا تعرف كيف تتجمل . . الماكياج الصارخ مطلوب . . الحجاب ممنوع .

أخيراً قابلت رئيسها . غريبة . . على شفتيه ابتسامة أصابتها الدهشة وهو يستقبلها مرحباً . صادق أم يُعِدّ لها كمينا ؟ يمكن أن يطعنها بقفاز من حرير ، يقضى عليها بطريقة «شيك» متحضرة .

– «لا أدرى كيف أبدأ معك الحديث يا مرفت» .

قلبها بين قدميها ، ترتجف : «خير يا فندم» ؟

اتسعت ابتسامته . . تكلم مؤكداً : «حلقتك بالأمس أحدثت ضجة ، رائعة بالفعل أكثر من مسئول كلمنى بشأنها . الجميع أشادوا بها . تقدمين لمصر خدمة حضارية» .

الحمد لله . . الحمد لله . . يالها من مفاجأة . أشرق وجهها . انقشعت الغيوم من حولها . لا تدرى لماذا توقعت فقط أن يطاح بها . . عبيطة ! أنقذها من امتحان رهيب . الحذر مطلوب من الآن . «شغلها وبس» . ولننس الحجاب والمحجبات إلى الأبد .

– ولكن كيف استطعت الوصول إلى الدكتور طارق» ؟

ضحكت فى سرها . عرف أسباب اهتمامه . إنه ابن واحد من الكبراء . «يا منافق» قالتها ساخرة دون أن تنطق بها» : طبيعة البرنامج يا فندم تقتضى منى صلات وثيقة بمختلف الجامعات ومراكز الأبحاث لكى ألتقى مع الدارسين فى الخارج . . الدكتور طارق رشحته لى كلية التجارة . بعدما عاد من أمريكا .

– استفدت منه بالفعل وهو يتحدث عن رسالة الدكتوراه التى حصل عليها من جامعة . جامعة . .» ارتبك . . أسرعت فى نجدته : «جامعة جنوب كاليفورنيا» .

LILAS.COM

– «أرجوك أعطنى رقم تليفونه لكى أهنئه بنفسى» .

ردت فى برود : «حاضر» . عرفت الآن سبب استدعائها . مجرد سلالم للوصول إلى المسئول الكبير . لا مانع . المهم أنه راض عن البرنامج . واضح أن حلقة الأمس أعجبت كل المسئولين . فى رأيها أنها عادية ، بل أضعف من كل مرة . لم تستجمع قواها فى المناقشة كما تعودت . تركت القادم من أمريكا يسترسل على هواه . يخرج عن الموضوع . رأت فى كلامه مبالغة وهو يمدح فى «العم سام» لم توقفه عند حده . هل كان فى وسعها أن تغضب أمريكا ؟ ابن الوزير ؟ ليس من المعقول أن تتخلى عن الحجاب من أجل برنامج ضعيف تقدمه . الدنيا يجب أن تنطق «عربى» بطريقة صحيحة وليس «عربى مكسر» .

لم يكن سهلاً نجاحها . الرضا السامى القديم بدأ ينحسر عنها . البرنامج ثقيل الظل . جاد أكثر من اللزوم . نريده أكثر خفة . تلقت ملحوظة : لماذا الإصرار على استضافة من سافر ليدرس أو يعمل فقط ؟ التنويع مطلوب للتغلب على الملل . افسحى المجال لكل القادمين من الخارج . هناك من سافر فى رحلات سياحية . . لماذا لا يكون ضيفاً فى برنامجك ؟ الناس تحب التعرف على الحياة فى أوروبا وأمريكا . . يجب أن تتسع آفاق هذه الأرض التى تتكلم «عربى» ولا تكونى حنبلية ! هدف البرنامج سيضيع بهذه الطريقة ضيوفها نماذج ناجحة للقادمين من بلاد الغربة ، لكنهم يريدون شيئاً آخر . إنها فى حيرة .

– يا بنتى الدبلوماسية مطلوبة ، حتى تستمرى . . احنى رأسك مؤقتاً للعاصفة حتى تمر» .

– «لكن يا بابا البرنامج بهذه الطريقة سيصبح «هايف وسطحى» ، بدلاً من تقديم رسالة دكتوراه سيشرح ضيفى الأكلة المفضلة عند الإنجليز والفرنسيين أو غيرهم» .

فوجئت به : «هذا أيضاً يهم المشاهد» .

ردت فى عصبية : «هل يرضيك أن يهبط ما أقدمه إلى الحد الذى أتحدث فيه عن «الهامبورجر» وهوليوود ؟؟! » .

أجاب على سؤالها فى هدوء : «رأيى أن تستمرى فى خطك وتستضيفى الناس القدوة ، وفى نفس الوقت حاولى إرضاء رؤسائك ، تحدثى مع ضيوفك عن الحياة فى البلاد الأجنبية وليس عن اختصاصاتهم فقط . . كونى ذكية وامسكى العصا من نصفها» .

– صدمتها أختها الكبيرة بوجهة نظر أخرى : «اتركى التليفزيون كله . لن ينفعك فى آخرتك ، فريضة الله أهم» .

كظمت غيظها : «لا يمكن أن أفعل ذلك بعد نجاحى هنا ، وأنا والحمد لله أؤدى الفروض كلها ، هناك قوة قهرية تمنعنى عن الحجاب . . عزل عفاف بعد التزامها درس لكل منا .

– ترافعت الجفوة ممثلة فى أختها : كل هذا كلام فارغ . . الحجاب فرض عين عليك . . لا توجد قوة يمكن أن تمنعك عنه ، انظرى ماذا فعلت زميلتك عفاف . . ضحت بكل شىء من أجل دينها» .

LIILAS.COM

- «لكننى أخدم دينى عن طريق العلم والناس القدوة الذين أقدمهم وسط سيل من البرامج الهابطة» .

- «ربنا لن يوفقك أبداً ، وستظل المشاكل تلاحقك مادمت تعصين أمر الخالق» .

انفجرت مستنكرة : «يا ساتر . . ما هذه الغلظة ، ومن أدراك أن الله قرر عدم مساعدتى . . هل أنت مبعوثة العناية الإلهية ؟» .

تدخلت الأم . وفضت الاشتباك : «تليفون يامرفت . . سلوى تريدك» .

ذهبت لتحدثها وهى تقول : «سلوى أيضا محجبة ، لكنها مختلفة عنك تماماً . . فى منتهى الذوق والرقة» .

لم تسمع أختها وهى ترد : «طبعاً يا ستى . . حجابها على الموضة ، لابد أن تعجبك» .

تسلل السرور إلى قلبها عندما حادثت صاحبتها : «عندى لك ضيف جاهز لبرنامجك . . أستاذ قانون قادم تواً من فرنسا . . إنه عريس صديقتى نورهان ، سأحتفى بهما فى بيتى ، فرصة لكى تتعرفى عليه» . شكرتها فى حرارة ، دائماً تجدها فى الملمات . . باريس ، برج إيفل ، قصر فرساى ، الشانزليزيه ، مادة دسمة لحديث موسع مع الدكتور . لن تكتفى بتناول رسالته فقط ، ستمسك العصا من منتصفها كما نصحها أبوها .

وقفت أمام المرآة تلقى نظرة نهائية قبيل الانطلاق . . دار خاطر فى ذهنها حاولت طرده دون جدوى . . منع الحجاب فى التليفزيون

جاء لمصلحتها ، شعرها الغزير الطويل خسارة أن تغطيه ، لاتريد أن تكبر قبل الأوان . يكفيها الاحتشام ، لكن سلوى شعرها طويل ينافس الحرير ، مع ذلك تحجبت ، وتبدو محتفظة بجمالها ورشاقتها .

لم تلتفت إلى عيون الحاضرين المصوبة إليها . تعودت على ذلك ، فهى مذيعة معروفة ، جمالها متميز . هادئ بغير زعيق . ممتلئة قليلاً لكن الرشاقة احتضنتها ، عيونها سوداء ، عميقة واسعة تدعوك لتلتفت إليها ، على رأسها تاج يتكون من شعر ناعم منساب خلف ظهرها ، أين دكتور الحقوق ؟ جالس مع زوجته العروس . . محجبة . . يالها من مفاجأة . مزجت تهنئتها بسؤال : «كيف يتزوج القادم من باريس بفتاة محجبة» ؟ قالتها مازحة ، لكنها كانت جادة فى البحث عن الإجابة .

رد ساخراً دون أن يفاجأ : «وما وجه الغرابة فى ذلك ؟ أوروبا لم تنجح فى أن تجعلنى خواجة» .

قالت عروسه : «نحن متفاهمان والحمد لله» . . وهذا هو المهم .

نظر إليها وقد اتسعت ابتسامته : «أرى زوجتى أجمل من أى فتاة أوروبية» .

أطل الحياء من وجنتيها ، كانت مرفت قد التقطتها كلها ، عيناها زرقاوان ، لم يطمسهما الحجاب بل زادهما بهاء ، الحشمة والبراءة والرقة والجمال كلهم تعاقدوا معها ، كم تتمنى أن تكون مثلها ، تحب هذا النوع من الالتزام الشرعى البعيد عن الجمود

LILAS.COM

والتزمت . عرفت أنها خريجة اقتصاد وعلوم سياسية اسمها على مسمى «نورهان» .

- «وأنت يا دكتور فى أى فرع من القانون حصلت على رسالتك من فرنسا » ؟

- «فى الشريعة الإسلامية و . . .

ردت فى دهشة : الشريعة !! لا تستريح إلى أسلوبه الساخر الذى يخاطبها به . . مزاح فى غير وقته . ردت عليه بنفس طريقته : «وهل انتقل الأزهر إلى باريس دون أن نعرف ؟ » .

سادت الجدية حديثه : «إننى لا أمزح ، لكنك لم تدعِ لى الفرصة لأشرح ما أعنيه . . دراستى بالفعل عن الشريعة والمقارنة بينها وبين القانون الفرنسى فى المجال الجنائى . . وتحديداً فى العقوبة» .

عادت إشراقة وجهها ، كانت قد اختفت بين سحب الدهشة ، تفرسته وهى تقول لنفسها : هذا الأستاذ «لُقطة» وموضوعه . . باريس والشريعة . . حلقة تليفزيونية لم يسبق لها مثيل . قالت والكلمات تقفز بين شفتيها أنت «سجلت» رسالة دكتوراة فى فرنسا ، وأنا «سأسجل» معك للتليفزيون وهكذا نصبح على قدم المساواة . . ضحك الجميع .

سيطر عليها الحماس وهى تنهى بسرعة الإجراءات اللازمة لبدء التصوير . تعرف السبب فى لهفتها التى لم تشعر بها من قبل . تريد أن تكسب جولة فى مواجهة أختها المتزمتة . كلماتها الجارحة

ما زالت تطن فى أذنيها . . «ربنا لن يوفقك أبداً» . سأثبت لك أننى قادرة على خدمة دينى أحسن منك . قابلت عميد الحقوق . زاد من تفاؤلها : ليس عندى أى مانع من إجراء حوار مع الدكتور «عمرو» . نموذج للعقلية الإسلامية المتفتحة» . لم يمانع مديرها من إجراء حوار مع أستاذ حاصل على الدكتوراة . . من السوربون . «يامرفت . . لا تركزى على رسالته فقط . تحدثى معه عن الحياة فى باريس» . . حاضر . لم تشأ إبلاغه بموضوع الرسالة ، خافت أن يعترض منذ البداية ويفسد عملها . المسئولون فى التليفزيون لا يحبون كثرة الحديث عن الإسلام . اكتفت بحماس صديقها مخرج البرنامج ، مقتنع مثلها بالضيف الجديد .

شرعت بالفعل فى عملها . كم تمنت استضافة زوجة الدكتور . نموذج للمحجبة العصرية . أصبحت من صديقاتها المقربات . العرف فى برنامجها لم يجر على ذلك . . يا خسارة . لا تستطيع حتى الاستفاضة مع ضيفها عن مميزات الشريعة وتفوقها على القانون الفرنسى . تسير فوق خيط دقيق . حماسها انقلب إلى خوف . اكتشفت أنها تسجل أصعب حلقة فى برنامجها الذى بدأ منذ سنة . سألته لماذا اخترت القانون الجنائى بالذات موضوعاً للمقارنة ؟ «العقوبات فى الشريعة الإسلامية سمعتها سيئة عند الغرب بسبب التعصب . تعنى عندهم الجلد وقطع الأيدى . أردت إظهار عظمة ديننا فى هذا المجال» .

قالت فى قرارة نفسها : نصف هذا الكلام سأحذفه فى المونتاج حتى ترى الحلقة النور . . لا مجال للحديث عن التعصب والجلد

LIILAS.COM

وقطع الأيدى . . إظهار عظمة ديننا كلام جميل لا اعتراض عليه .

توالت أسئلتها فى صميم رسالته ، تحدث معها عن تقسيم الجرائم المبنى على جسامة العقوبة ، بعض المعانى لا تستوعبها . سألته بابتسامة محاولة إخفاء جهلها بالمسائل الشرعية : ما معنى جرائم التعازير ؟ أجابها : إنها تعنى التأديب . حاول فى كلامه النيل من القانون الفرنسى ، طلب منها عقلها التدخل بسرعة . . لا . . . ممنوع . . كله إلا هذا . . إنه القانون الذى يحكمنا . أدارت دفة الحديث بلباقة . جذبته للحديث عما شاهده فى باريس ، أجاب عن تساؤلها بتوسع . هذا أفضل لرؤسائها من الكلام عن مميزات الشريعة !! ابتسامة مريرة داخل نفسها منعتها من التسلل إلى شفتيها . تعجبت من مضيفها . . خبير بتلك البلاد رغم اتجاهه الإسلامى ، ينقد ما لايعجبه . . سنترك كلامه هذا دون حذف . فرنسا ليست معصومة . . تحدث عن الإيجابيات التى لمسها هناك . . اهتمام فائق بلغتهم الفرنسية ، معتزين بها ، أتمنى أن أرى مثل هذا التعصب عند أهل العربية . . لا . . . الجملة الأخيرة محذوفة . . ممنوع .

انتهى التسجيل . صارحته القول : «كلامك رائع ، موافقة على كل ما قلته ومقتنعة به ، لكن الظروف لا تسمح بإذاعته كله» . لم يعترض . أطلت من وجهه ابتسامة اطمأنت لها . «سأكون شاكراً إذا تم إذاعة نصف الكلام الذى قلته عن الشريعة ، سأترك لك حرية التصرف وأنا واثق فى أمانتك» .

«شكراً» ، قالتها من قلبها . نظرت إليه ملياً . أنت إنسان ممتاز . أمسك حياؤها لسانها فلم تنطقها .

مزق السكين جسدها وهى تقوم بالتحضير النهائى للحلقة قبل عرضها على الرقابة ، شعرت أنها ترتكب جرماً : تقوم مع مخرج البرنامج بحذف الكثير مما قاله ضيفها عن الشريعة . ماذا أفعل ياربى . . لابد أن تكون الحلقة متوازنة بين الدين وباريس حتى تمر من الرقابة ! كل عذابى سينتهى عندما يظهر الدكتور عمرو فى التليفزيون .

لم تنم الليل فى انتظار موقف الرقيب . خاصمها النوم . أخذت تستنجد به دون جدوى . تقلبت فى فراشها بلا فائدة . طاردها الأرق . ترك بصماته عليها ، متعبة . صداع ، هرب اللون الوردى من وجنتيها . . يارب توافق الرقابة على الحلقة . . جديدة بالفعل ، أول مرة تستضيف أستاذاً فى العلوم الدينية . . أخذت شخصية الرقيب تتكشف لها . . يتودد إليها ، لكنه يخاف من ظله . . بذلت جهدى لحمايتك ، لا توجد حلقة تعرضت للبهدلة مثل هذه الحلقة . . أرجوك وافق ، الخواطر تعصف بها . . سيعترض . . لا . . . سيجيز ما قامت به . . لن يوافق . . برافو يا مرفت . . حلقة رائعة . . هل تسمع منه هذه الجملة ؟ لم تطق الانتظار . . كفاها يوم من العذاب ، اتصلت بالمخرج لمعرفة النتيجة . . امتحان لا تدرى مصيره . . ارتعشت أصابعها وهى تطلبه ، دقات قلبها تسارعت . . طبول حرب . . النصر أو الهزيمة . . تلقت لطمة : «يا مرفت أنا أسف ، عندهم «ارتيكريا» من الشريعة ، الرقابة اعترضت

LIILAS.COM

وجهدنا ضاع هباء» . . ترنحت من شدة الضربة . . ردت فى صوت متهدج فيه دموع وعصبية وسخرية : أخطأنا بحديثنا عن الشريعة ، لو كانت الحلقة عن باريس أو مميزات القانون الفرنسى فقط لوافقت عليها الرقابة دون تردد» . حاول زميلها تطييب خاطرها دون جدوى .

لم تستسلم رغم التصدع الذى أصاب بناءها . تجرأت واتصلت بالرقيب لأول مرة فى بيته . . حاول المزاح معها : «ما هذا يامرفت . . الشريعة من باريس . . هل يعقل ؟» . .

قاطعته فى جدية وتجهم متسائلة : لماذا لم توافق على إذاعة الحلقة . . بذلت كل جهدى لكى تخرج متوازنة ؟

سحب ضحكته المفتعلة قائلاً : «عقد مقارنة بين الشريعة والقانون الفرنسى موضوع حساس لا داعى للخوض فيه» .

ردت وهى تكاد تبكى : لكننى حذفت الكثير مما قاله الدكتور حتى يكون مقبولاً من الجميع .

انتقل من موقف الدفاع إلى الهجوم : المقارنة خطأ من أساسها . . ديننا لا يحتاج إلى ذلك لإثبات تفوقه . القانون السماوى لا يجوز مقارنته بأى قانون آخر . . إنه أكبر من ذلك . . تعرفين أننى رجل مصلٍ وأعرف ربنا» . انتهت المكالمة . ياله من صفيق ، لم تأخذ منه حقاً ولا باطلاً .

لجأت إلى خط الدفاع الأخير . . مديرها . . «لطعها» قبل السماح لها بمقابلته . تجهم فى وجهها . صفعها بنظرات نارية .

انفجر قائلاً : هذه الحلقة من وحى الإخوان المسلمين ، يبدو أنك قد تأثرت بهم ، الكلام عن مميزات الشريعة عون للأولاد المنتمين للجماعات الإسلامية ، تعلمين أننا نعمل على تقليص برامج الشيوخ ، فليس من المعقول أن «يغزو» الدين البرامج الثقافية أيضاً . . الإيمان فى القلب يا مرفت . . حاولت الدفاع عن نفسها ، لم يسمح لها . . خرجت . طفرت الدموع من عينيها . شاهدت السكرتيرة . تبدو كالأراجوز . نجح الماكياج . الموازين مختلة . لم يعد الحزن يكفيها جاءت أمواج من الغضب . صغير هذا التليفزيون . لا يستحق كل هذه التضحية . تتطلع إلى إجازة . لا تستطيع . . طعنات من داخل بيتها على لسان أختها : . . «هذا درس لك ، لا يمكن أن يوفقك الله وأنت بعيدة عن تعاليمه . . صدقينى الحجاب أهم من التليفزيون» .

«حاولت خدمة دينى عن طريق عملى» .

تخدعين نفسك حتى تظلى هناك فى بؤرة الفساد .

هربت من مناقشة شقيقتها . . تكره فيها هذا التكبر والتعالى والمواعظ التى لا تنتهى ، لم تجد سلوتها إلا فى «سلوى» . . جمعتها فى جلسة مع دكتور الشريعة وزوجته . فوجئت بأنه لم يفاجأ بمنع حديثه . أخبرها أنه كان يتوقع ذلك . لأول مرة تشعر بيد حانية . . بلسم يداوى جراحها . قالت لها «نورهان» : باريس لها فضل كبير عليك . . أراها تستحق الشكر .

لا أفهم شيئاً . . قالتها «مرفت» وقد تملكتها الدهشة .

LIILAS.COM

شرحت ما تقصده وهى تحتضنها بابتسامتها : أظن أنك أخذت ثوابا كبيراً بمجرد سعيك لخدمة دينك ، المهم نيتك ، ويكفيك ما قمت به من جهد ، وليس من الضرورى عند الله تحقيق نتيجة ملموسة . . ربنا كبير .

نظرت إليها فى إعجاب . . تحب هذا النوع من الالتزام . . كلامها رقيق . حجابها أنيق . . تود أن تكون مثلها ، قالت صادقة : لو كانت كل المتدينات مثلك لما كان هناك مشكلة فى انتشار الحجاب .

استوعبت صدمتها بتوثيق علاقتها بأصدقائها الجدد . . عالم جديد تفتح لها ، مازحت صديقتها قائلة : «باريس تستحق أن أقول لها «مرسى» من كل قلبى . . هذه المدينة «العابثة» كانت السبب فى معرفتى بإنسانة «فاضلة» مثلك . . ضحكا . . باريس «مرسى» .

«سرأولجا»

واقف ينتظرها بالمطار . مشتاق بالفعل لرؤيتها . لكن . . . هل يمكن أن يكون الوجه الرقيق الطفولى متعطشاً للدماء ؟ ماذا يفعل إذا كانت تؤيد القتلة ؟ سيقطع صلته بها . يشعر فى قرارة نفسه ببراءتها . . مالها وللحرب ؟! بعيدة عن ميدان المعارك . تعيش فى باريس . قادمة من هناك . أخيراً وصلت . . هى كما عرفها . وجهها البرئ محتفظ بملامحه . لم تداخله خطوط قسوة أو علامات اتهام . شعرها الكستنائى الطويل . البريق النشط ينطلق من عينيها الملونتين . لون السماء الزرقاء ما زال صافياً فى مقلتيها . لا أثر للسحب بين حاجبيها . تقابلا فى حفاوة . أخذت أجازة من أجلك أنت والوفد السياحى كله الذى جئت معه . «تسللا إلى سيارته . انطلق بها لتوصيلها إلى الفندق . رتب أمره . غداً يسافر معهم جميعاً إلى الأقصر وأسوان لقضاء أعياد الميلاد . خرجت كلماته من قلبه رغم حديثه بالإنجليزية : «قلقت عليك للغاية . . . قدومك إلى مصر أجمل مفاجأة» .«شكراً . . قالتها بلهجة عربية مكسرة . ضحكا . بعدها غاصت ابتسامتها» : تركت بلجراد بعد قيام الحرب ، الحياة هناك أصبحت صعبة اتسعت بسمته تأكد حدسه . هتفت نفسه : بريئة . . . بريئة .

أمسك بيدها وسط السحاب . الطائرة فى طريقها إلى المدينة الأثرية . أخذ يستعرض معها الذكريات . تفاصيل اللقاء الأول .

LILAS.COM

سويسرا . جنيف . بحيرتها المشهورة . فندق نوجا هيلتون الذى يطل عليها هناك . تقابلا منذ سنوات ثلاث . طاف معها المدينة . خبير بها .

عاش أسابيع مع أقرباء يقيمون هناك . مد زيارته من أجلها . سعيدة معه . صاحبها فى شارع السوق «rue de marche» شارع الشباب والمحلات والحكايات لا تنتهى . ابتسامات وضحكات تتخللها . «فونديو» أكلة مشهورة اقتسماها سوياً . لكن أين أهلها . أمها . أخوها الكسندر . أختها سلفيا . كانوا فى صحبتها هناك . لماذا لم يأتوا معها إلى هنا ؟ أوشك أن يسألها . تراجع . خاف أن يزيد من أوجاعها .

تحدث عن نفسه : «تخرجتُ من الحقوق . متعتى الدفاع عن المظلومين . «مهتم بحقوق الإنسان . طرق باب قلبها : «عشت على خطاباتك ولم أتزوج بعد» . تشجع وهو يقول لها : «مهتم جداً بأخبارك . كنت مشغولاً بك وأنا أتابع الحرب التى تجرى» . . . و . . . «لا تكمل» قالتها فى حدة . تجهم وجهها . «أبذل جهدى فى نسيان هذا الموضوع فلا تذكرنى به . . هؤلاء الأوغاد الكلاب وراء كل ما نعانى» .

فوجئ بحدتها . أصابه الوجوم . لحظة صمت . رطبت حزنه قائلة : «آسفة . . قسوت عليك . . . أحداث السنة الماضية غيرتنى كلية . كلنا هناك تغيرنا . .»

« أنا آســف » . . قــالهــا مــخلـصـاً . مـن جـديد عـادت الأيدى لتتلاقى .

هبطت الطائرة فى الأقصر . قرر أن يغلق الحديث معها نهائياً عن البوسنة والهرسك ، أجازة مع أولجا تعنى أجازة من كل شىء . سيتمتع معها بكل دقيقة ويساعدها فى نسيان موضوع الحرب . تركت تأثيرها عليها . حزينة . صامتة . قلقة ، عصبية . متوترة . مسكينة تعيش دائماً على فوهة بركان . مهمته أن يجعلها سعيدة ، ستبقى معه بضعة أيام . بعده يفترقان . لا وقت للضياع . حاول الاندماج معها . شعر بأن هناك ما يحول بينهما . أبت حرب البوسنة أن تتركه حتى فى خلوته بها . . القبلات بينهما لم تعد كما كانت . اختلفت . ليست فى حرارة قبلات سويسرا ! ما الذى جرى ؟

كلمات سمعها تتردد بين جنبات صدره كلما التقى بها : خائن . ضعيف . جبان . تدعى أنك نصير الإنسانية . متعاطف مع أهل البوسنة . وتحب فتاة صربية .

حاول قلبه أن يرد : إنسانة أحبها بغض النظر عن جنسيتها .

صفعه ضميره : أبداً . . يجب أن تعرف موقفها من جرائم قومها . كلماتها تدوى فى أذنه : «الأوغاد الكلاب وراء كل ما نعانى» . لن يهدأ له بال حتى يعرف من تعنى . مستحيل أن يكون المقصود «عزت بيجوفيش» وزعماء البوسنة الآخرين . مجنى عليهم . لاشك أنها تتحدث عن مجرمى الصرب . تنتمى إلى هذا الجنس . لكنها مختلفة عنهم . أطال النظر فى وجهها . رقيق . طفولى . ملاك وليست بشيطان . يده على كتفها . يرمقان شمس الغروب . منظر جميل . هى أجمل منه بشرط أن يتأكد من

LIILAS.COM

براءتها . قال فى دبلوماسية وهو يتحسس كلماته : «اكتشفت فيك ميزة رائعة . . أقصد شجاعة فائقة . جئت إلى مصر رغم موقفنا المعروف من أزمة البوسنة . . كان فى وسعك قضاء أعياد الميلاد فى أى دولة أوروبية» . وجمت . أزاحت يده عنها ، ردت فى حدة . «يبدو أننى أخطأت لأننى أردت رؤيتك» . قامت . لحق بها . . لم أقصد شيئاً . شكراً لك على اهتمامك بى . كنت متأكداً أنك غير موافقة على ما يحدث فى البوسنة و . . .

قاطعته فى صرامة : «كلنا متفقون على كراهية الحرب لكننى قلت لك : إننى متعبة . . جئت إلى هنا لأنسى ، لست مستعدة لسماع أى حديث عما يجرى عندنا» . عمل على تطيب خاطرها . أوصلها إلى الفندق . خيوط الحوار متقطعة . حاول إعادة الوصال . شىء فى نفسه يسأله : ما هذه اللهفة عليها ؟ لماذا اللهث وراءها هكذا ؟ غداً يسافران إلى أسوان يراوده الاعتذار . لن يسعد معها وموقفها غامض من الحرب . ضيفته فى النهاية . مضطر أن يكمل معها المشوار .

فى بلد السد العالى حرصت على الابتعاد عنه . التصقت بالفوج السياحى . استراح لفتور العلاقة . «كده أحسن» لكنه شعر بالخجل . كان يجب أن يكون هو البادئ . . من المهم أن تعرف هذه الصربية تأييده الكامل لأهل البوسنة . شاركهم فى جولة بالمدينة . لم ينبس معها بكلمة . تحدث مع سياح آخرين . صاحب فتاة فرنسية فى عمر الزهور . شاهد الغيظ فى عيون أولجا . ابتسم . فى المساء تجمعوا فى بهو الفندق . . سياح فرنسيون وهو وهى . اختار

مقعده بعيداً عنها . «خلاص» لم نعد أصحاباً . أخذوا يتحدثون عما شاهدوه فى جولتهم . . بلا مقدمات قلب مائدة الكلام على رؤوسهم . قال : «هناك خبر مفزع من البوسنة . دكت المدفعية الصربية سراييفوا من جديد . سقط ضحايا من الأطفال» . تصدت له : «ما تقوله أكاذيب ، تبالغون دائماً فى أقوالكم» .

فوجئ بحدتها ، نظر إليها ملياً : شاهدت الأطفال الضحايا فى التليفزيون» .

. . . «اسمع . . أنا من تلك البلاد . كنت أعيش هناك حتى وقت قريب ، عاش الصرب مع غيرهم فى سلام سنوات طويلة لكن المسلمين عملوا على إقامة دولة إسلامية فى البوسنة ، وحاولوا إخضاعنا بالقوة .

لم يسكت . رد فى ثقة : «من حق الأغلبية المسلمة أن يقيموا دولتهم كما فعل الصرب والكروات» .

أجابت فى عصبية : «هذه فى الأصل أرضنا ، المسلمون وافدون ، احتلوا بلادنا منذ الفتح العثمانى» .

أطلق رصاصة فى وجهها : «لم أتصور أن يخفى وجهك البرئ هذا الكم الهائل من التعصب» .

اشتعلت غضباً ، تدخل فرنسى عجوز : «أرجوكم أغلقوا ملف هذا النزاع من أمامى قبل أن تنشب معركة بين المسلمين والصرب هنا فى أسوان» .

LILAS.COM

رد المصرى موجهاً له اللوم : «موقف أوروبا غريب من المأساة ، تشاهدون الفظائع واغتصاب آلاف المسلمات ، وتسكتون على الجرائم التى ترتكب» .

دخل فى مناقشة حادة مع «أولجا» . تحولت الجلسة إلى حلبة سياسية صاخبة ، بذل محامى البوسنة جهده فى الدفاع عن قضيته . اشتبك مع الطرف الصربى . تبادلا التراشق بالكلام . انسحبت ساخطة . ابتسم . كسب المسلمون الجولة ضد الصرب . سعيد بهزيمتها ، لكن فى نفسه حزن . وجه ضربة قاضية إلى الصداقة التى تربط بينهما . دفع ثمناً غالياً لنصره . وداعاً صديقتى العزيزة . لم ينم ليلتها . تأملها فى مخيلته . استعرض شريط ذكرياته معها . أخيراً أغلق عينيه من التعب .

حمل اليوم التالى مفاجأة . . اختفت أولجا . قطعت رحلتها . عادت إلى باريس . ما الذى حدث ؟ غير معقول أن تكون المعركة الكلامية بالأمس وراء قرارها . أخيراً عرف السبب . استدعاها على عجل . أصيب أخوها فى جبهة القتال ، وهو يقاتل مع الصرب . دوار أصابه . شقيقها الكسندر مجرم . لحقت به إصابه بالغة ، بالقرب من «سراييفو» . أسرتها كلها متورطة فى الحرب بالسلاح والتأييد . خجلان من نفسه ، خدعه قلبه . تصورها ملاكاً بين شياطين . ، بريئة وسط مجرمين . حلم . أفاق منه قبل فوات الأوان .

هنميد فى كوب عصير

قلبه معلق بجنة رضوان . . يارب الجو شديد الحرارة . . شكراً لك ! نعمة من الله! . . وسيلة مشروعة لجذب الناس إلى جنتى . . ترى كم سأكسب منها ؟ ٦٠٠ جنيه بل ٨٠٠ . . لا . . لا . . دخلى الشهرى يمكن أن يزيد على ألف جنيه خلال شهور الصيف . . الناس تعرفنى جيدا فى المنطقة . . يشق طريقه فى ظلمات الليل . . هز رأسه طارداً أحلامه والنعاس الذى يداهمه ، سيتمسك بوظيفته مهما كانت المغريات ، متميز فى ميدانه ، كيف يستقيل ؟ هل يترك الساحة لهؤلاء الذين يقطعون طريق الجنة على الناس ؟ لكن مشاكله جمة ؟ مشواره طويل جدا . ليس سعيدا . لا يستطيع أن يصلى هنا . ممنوع . اذهب إلى مسجدك . . بعيد . . بعيد ، يقع فى شمال القاهرة . علقة ساخنة . أسكن فى الجيزة . كيف يمكن الوصول إلى هنالك يوميا قبيل الفجر ؟ لا توجد مواصلات فى هذه الساعة . قطع تلك المسافة على قدمى ضرب من الجنون . . أبطال المشى وحدهم يستطيعون السير عدة كيلو مترات كل يوم من «الطالبية» إلى «الساحل» . هذه الصلاة المطلوبة منى ليست لوجه الله . إنها نوع من العقاب . ياله من تكدير .

لمح شخصا ضخم الجثة فى الطريق الخالى ، عرفه على الفور ، الأستاذ عبد الحميد . . يصر على أن يُنادى بلقب أستاذ . . سمع صوته الجهورى وهو يصيح : «من هنا ؟ . . الشيخ يحيى . . يا

LIILAS.COM

مرحبا . . يا مرحبا» ، تصافحا ، سأله الإمام فى دهشة : «كيف تدخل بيتك فى هذه الساعة يا رجل» ؟ أجابه فى ضحكة تفوح منها رائحة الخمر : «وأنت يا عم الشيخ كيف تخرج من منزلك فى هذا الوقت ؟ ناقص ساعة كاملة على صلاة الفجر . . إلى أين أنت ذاهب «ياعكروت» ؟؟ أعرف حركات الشيوخ وأحفظ مقالبهم ! . . أنا راجل ملتزم أحرص على دخول بيتى قبل «وش الصبح» مش زيك تخرج قبل الفجر» لم يشأ أن يطيل معه . . انصرفَ بسرعة ، أطلت من ثغره ابتسامة حب مختلطة بإشفاق على عبد الحميد ، فيه شهامة ورجولة ودمه خفيف ، تتراقص الضحكات دائما حوله ، لكن عيبه فى الخمر والسهر ، يمكن علاج هذه السلبيات إذا اقتربت منه أكثر . . أنا أحبه . طرأت الدهشة على ذهنه . . عجيبة . . الرجل المخمور ، قلبه أبيض ، والشيخ الرفاعى مفتش الأوقاف إنسان حقود . . عارف حركات الشيوخ ومقالبهم ! لماذا منعت مستحقاتى المالية ياسيدنا الشيخ ؟ حتى بدل الزى حرمتنى منه . . كيف يمكن أن أعيش على مرتبى الأساسى فقط ؟ هل يعقل وأنا المجتهد فى عملى أن أتقاضى أقل من زملائى ؟ لكن هذا الاجتهاد والرغبة فى التجديد وراء تكديرى ، مخطئ لأنى لست إماماً تقليدياً . . كان يجب أن أسير بجانب الحائط حتى أحظى بالرضا السامى . توقف الشيخ يحيى عن السير . . أصابه التعب . ألا توجد مواصلة فى هذه الساعة ؟! أخذ يفتش فى خطبة النظافة التى ألقاها الأسبوع الماضى ، إنها السبب وراء عقابه بهذا المشوار ، مفروضة عليه مثل معظم خطب الجمعة ، لم أخطئ عندما قارنت بين أمراض القلوب ومعاصى الجوارح . . الحسد

والحقد أخطر من شرب الخمر ، لكن شيخ الأوقاف ثار عندما تحدثت عن أهمية طهارة ذمة الحكام ، وضرورة أن تكون الانتخابات القادمة نظيفة» . . لماذا تخلط الدين بالسياسة ؟ وأنت مالك ومال الحكم والانتخابات» ؟ . . النظافة تعنى تنبيه الناس فقط إلى أهمية هذه الفضيلة .

«النظافة السياسية ضرورية وجزء من الموضوع وأنا لم أتعرض لأحد أو أتهجم على مسئول» .

«لا . . لا . . أنت محال للتحقيق» .

أكثر من نصف ساعة على قدمى . . شاهد معجزةً . . سيارة أجرة تتهادى . . فرك عينيه ليتأكد منها . . «الحمد لله . . الحمد لله . . صاح ليوقفها : تاكسى . . تاكسى . قال لسائقها بصوت أقرب إلى الرجاء : «الساحل يا أسطى» . . ركب بجوار السائق . . من عادته الاختلاط بغيره بسرعة ، لكن عقله اليوم خرج من السيارة ، استرجع فى حسرة أيام الشيخ حماد رئيسه السابق . لاقى منه كل تشجيع بالكلمة الطيبة والحوافز . .» فين أيامك يا شيخ حماد» كان يحتضنه بحق مثنيا على نشاطه وقدراته الخطابية ، ارتفع به إلى السماء قبل أن يخسف به الشيخ الرفاعى الأرض . . هذا عالم جليل ، وذاك موظف قح خرج من الأزهر . جرى تفكيره وراء نتائج التحقيق معه . . معرض للخطر ، تعسر الترقية ، القذف به فى أماكن نائية ، سحب روحه منه بمنعه من الخطابة . . وجد وجدانه يشده إلى «جنة الرضوان» . . الفرصة سانحة لذلك . . شقيقه أحمد يصر على ترك إدارة المحل للعمل فى

LIILAS.COM

وظيفته الجديدة بشركة القطاع الخاص التى تستهلك وقته . . الأسرة فى حيرة . . ترى من سيخلفه ؟ لا أحد يتوقع من سيدنا الشيخ التفرغ لهذا العمل ، الدعوة إلى الله أسمى من كل شىء ، إلا أنه يفكر مليا فى ذلك . موقع الجنة فى قلب الطالبية . . ش عثمان محرم . . عصير قصب ، مانجة ، جزر ، سيكسب ويربح خاصة إذا تحالفت الشمس مع الرطوبة ، بل يستطيع أن يتوسع . . كوكاكولا . . بيبسى . . فانتا . . سفن آب . . مرطبات كثيرة . . كثيرة . . فلوس كثيرة كثيرة أضعاف مرتبه ، لكن هل يعقل أن يضيع عمره فى الدراسة الدينية ليصبح فى النهاية صاحب محل قصب ؟ ثم كيف سيواجه نظرات الزبائن وتعليقاتهم الساخرة . . إمام مسجد يتحول إلى بائع : واحد كوكتيل يا سيدنا الشيخ من بركاتك !

انتزعه صوت السائق من حيرته : «مالك يا مولانا . . هل طلعت القمر» ؟ انتبه . انتزعت شفتاه ابتسامة من نفسه رغما عنه . أخيرا وصل إلى المسجد . . ألف شكر قالها لمنقذه من وطأة السير ، باق ثلث ساعة ، لم يصل أحد بعد ، أخذ يصلى عسى الله أن يهديه إلى القرار الصحيح ، لم يستطع الاندماج فى خلوته ، محل القصب «يعصر» تفكيره . . كان يتطلع إلى أن يلمع فى ميدانه خادماً للإسلام مثل الشيخ الشعراوى أو الشيخ الغزالى أو الدكتور يوسف القرضاوى . . مواهبه تؤهله لذلك ، فهل يتخلى عن أحلامه فى لحظة ضيق ويتحول إلى بائع للعصائر والكازوزا ؟ ولكنه لن يترك ميدان الدعوة ، المساجد الأهلية ستتخطفه ، عمله

الجديد فرصة واسعة للاختلاط بالناس والتأثير عليهم مر أمام خياله استعراض لزبائن المحل . . ينتمون لمختلف الفئات طحنتهم الحياة . . توقف أمام وجه مليح ذى عينين زرقاوين . . حاول طردها برفق دون جدوى . احتلت ساحته كلها ، أخلى الميدان إلا منها ، يعجبه هذا النوع من الجمال . . حلوة ومتحفظة ، لافتة للأنظار وصاحبة أخلاق . سمع ضميره يحدثه : تفكر فى النسوان وأنت داخل المسجد ؟؟ يا شيخ حرام عليك : لا . . لا . . ليست منهن مستحيل أن تكون كذلك . . حالة رقيقة مثل النسمة صغيرة السن فى الثامنة عشرة من عمرها ، الفارق بينهما ثمانية أعوام ، ينوى التقدم إليها بعد انتهائها من امتحانات الثانوية العامة ، تكلم مع أمه فى شأنها ، طلب منها أن تجس نبضها . لم تأته برد حتى الآن . لماذا ؟ هل يمكن أن تفضل عليه غيره ؟ لغة العيون لا تكذب . واثق أنها ستقبله . فى عينيها بريق ما عندما تنظر إليه . . يشعر أنها تريد الاسترسال معه فى الحديث ، لكنها تتحفظ . . أرجوك تكلمى على سجيتك وانسى مكانتى الدينية . . أنا بشر من لحم ودم مثل أهل الحى ولست ملاكا . . أنت التى تنتمين إلى جنس الملائكة . . صفعه ضميره محتجاً على هذا التفكير . . عيب عليك . . وعلى العمامة «والكاكولا» التى ترتديها احترم نفسك واستعد لصلاة الفجر ! تَدَخّل قلبه لمواجهة هذا السخط : الحب والزواج من حقى . . النبى ﷺ بنفسه يقول : «لم يرَ للمتحابين مثل النكاح» صدقت يا رسول الله . . صدقت . . صدقت . . سأتزوج نعمة ، اسمها الحقيقى «نعمة الله» . . هى بالفعل كذلك . . ولكن أيهما تفضل . . إمام مسجد أم بائع عصير قصب؟

LIILAS.COM

لمح رئيسه يدخل الجامع . جاءه ليتأكد من تواجده . اضطرب . أسرع إلى إخفاء أفكاره ، استعاد بسرعة توازنه قائلا لنفسه : من نعمة إلى الشيخ رفاعى ويا قلبى لا تحزن !

ألقى مفتش الأوقاف السلام عليه قائلا : الحمد لله أنك جئت إلى هنا دون مشاكل» .

- «تعبت كثيرا من السير ، وفى النهاية وجدت تاكسى بأعجوبة» .

أجابه الشيخ وهو يحملق فيه : «كل خطوة تخطوها لها ثوابها عند الله ، إذا صحت عزيمتك فلن تجد صعوبة فى الصلاة بمسجدك» .

رد فى توسل ساخطاً : «كلامك صحيح إذا كنت أسكن قريبا من هنا لكن بيتى فى آخر الدنيا . . أرجوك اعفينى من هذا المشوار» .

جاءته الإجابة حاسمة : «آسف . . هذا المسجد له ظروفه الخاصة ، ولا يوجد مقيم شعائر ، وأنت الإمام والمسئول الوحيد أمامى هنا» .

لم يصب باليأس بل استمر فى إلحاحه : «أى واحد من الشباب الحافظ للقرآن يمكن أن يصلى الفجر بالناس» .

انفجر شيخه فى حدة حاول ضبطها : «ما هذا الدلع ؟ كل شىء تريده على الجاهز . . إذا لم تكن قادراً على حمل المسئولية فتنح عنها . . لكننى لا أستطيع ترك الجامع لشباب لا أدرى من هم» .

اختفى توسل الإمام وقال فى سخط : «تعودت منذ أن كنت طالبا فى الأزهر أن أصلى الفجر بأهل منطقتى ثم نجلس سويا بعد الصلاة ولا أستطيع تغيير هذا النظام» .

أجابه المفتش وقد نجح فى ضبط أوتار صوته ليتحدث فى هدوء : «يعنى تريد أن تصلى بجوار بيتك !! وليذهب عملك إلى الجحيم !! منذ البداية قمت بتشخيص عيبك . . الهروب من المسجد . . لا تطيق الجلوس فيه . . لا يمكن أن تؤدى رسالتك بهذه الطريقة» .

رد فى ثقة مدافعا عن نفسه : «الشيخ حماد رحمه الله كان يقول عنى إننى متميز فى عملى وأختلف عن بقية الأئمة . . ودرسى اليومى منتظم هنا بين المغرب والعشاء ، أنت بنفسك شاهد على مدى إقبال الناس ، وصلاة الجمعة ليس فيها موضع لقدم . . ولله الحمد ناجح فى عملى ، لكن موعدى الرسمى فى الجامع يبدأ من صلاة العصر» .

لطمه رئيسه بكلامه : «دروسك سطحية لا تعجبنى ، خالية من المنهج العلمى ، والإقبال عليها ليس دليلاً على النجاح . . عقلك مشغول عن الدعوة بموضوع آخر «يا كابتن» . . أضاف ضاحكا فى سخرية لا تريد أن تصلى حتى الظهر بالناس لأنك تفضل لعب الكرة فى الساحة الشعبية» .

كظم غيظه قائلا : «لا داعى للاستهزاء بى فى هذا الموضوع . . تشجيع الشباب على الرياضة واجبى حتى فى إجازة الصيف» .

Windows Live Messenger
تم تسجيل دخول
.hussien

LIILAS.COM

رد الشيخ فى حدة وقد اختفت سخريته : «مالك وللكرة ؟ لماذا تدفع الشباب إلى اللعب والابتعاد عن المسجد . . واجبك أن تجذبهم إلى بيت الله ليتفقهوا فى أمور دينهم» .

أجاب فى هدوء : إننى لا أنتظر حتى يأتوا إلى هنا . . بل أذهب إليهم فى الأماكن التى يتواجدون فيها ولو فى الملعب .

فاجأه رئيسه : «وما هذا الذى سمعته . . هل صحيح أنك تحاول الاتفاق مع بعض التجار لشراء جوائز تقدمها إلى هؤلاء الشباب الصايع ؟؟

قال الإمام وقد بدأ صوته يعلو : «هذه ليست تهمة . . إننى معروف فى المنطقة والناس تثق بى ، لذلك أحاول إقامة بعض المسابقات الرياضية بين أبناء الحى ومكافأة الفائزين منهم . . صدقنى . . هذه الأعمال البعيدة عن الوعظ التقليدى لها أثر طيب جدا بين الجمهور . . سأخبرك بكل التفاصيل فور الانتهاء من إعدادها .

انفجر رئيسه . . «كلام فارغ . . فارغ . . أنت فقط إمام مسجد» ، وأضاف فى حزم بصوت عال سمعه رواد الفجر القلائل : هذه الأنشطة الرياضية يجب أن توقفها فورا . . أنت خريج أصول الدين ولم تحصل على شهادتك من كلية التربية الرياضية» .!

لم يرد . . تحدث مع شيخ الأوقاف فى موضوع لم يتوقعه . «أريد إجازتى السنوية حتى أعيد ترتيب أوراقى من جديد . . محتاج بالفعل إلى الراحة» .

تراجع غضب الرفاعى أمام ملامح الانتصار التى بدت على وجهه : «موافق أريدك إماماً متعاونا معى بعد العودة من إجازتك ، مستعد لنسيان الماضى بشرط أن تلتزم . . سأعطيك فرصة جديدة يمكنك أن تعطى الكثير إذا تفرغت لمسجدك فقط» .

أقيمت الصلاة . . تقدم شيخ الأوقاف ليؤم الناس ، صلى الشيخ يحيى خلفه وهو ينظر إلى «قفا» رئيسه . . تريد حيسى فى الجامع ، هذا لن يكون أبدا . . الله أكبر . . ركع . . لا أريد فتح صفحة جديدة معك ، أتمنى التحرر والانطلاق بعيدا عنك . . الله أكبر . . سجد . . لا يمكن أن أستمر مكبلا فى قيود الوظيفة . . تخنقنى . . تشل حركتى . . الأجازة فرصة مناسبة لبدء تغيير مجرى حياتى ، و . . السلام عليكم ورحمة الله . . ما هذا ؟ لقد انتهت صلاة الفجر . . صفع شيخه بكلامه الذى رفض لسانه أن ينطقه : يا شيخ حرام عليك . . ابعد عنى . . حتى صلاتى لا أستطيع أن أؤديها خلفك بما يرضى الله . ! رأى ضميره فى حالة وجوم لتشتيت ذهنه أثناء عبادة ربه . . أنا آسف زلة لن تتكرر . . هكذا اعتذرت نفسه وهى تحلق فى آفاق الغد ترنو ببصرها إلى المستقبل : سأكون بالفعل داعية من طراز جديد عندما أعصر قصباً للناس .

LIILAS.COM

شهيرة لا ترقص

غير معقول يا شهيرة . الصبر يارب . يزفر أنفاسه . أف . . أف . يروح ويجيء فى صالون المنزل . عصبى . يكلم نفسه . المدام لم تكمل تزينها بعد . زينة . زينة . زينة . كمّ هائل من المساحيق . يا شيخة حرام عليك . قلت لك : أجمل وأنت طبيعية . . لكن لا فائدة . استرح يابنىّ . أفاق على صوت حماته . «بعد دقائق ستأتى» . أخذ يشكو : «الساعة تقترب من العاشرة . المشوار بعيد . . آخر الهرم . دائما متأخرون» . ذهبَت من جديد تستعجلها وهى تردف : «أرجوك تتحمّلها . عروسة وبتدلع» . دق سيجارته فى المطفأة بعنف . كأنه يدق عنقها . . إلى متى هذا الدلع ؟ كل يوم حفلة . ودّ لو ينام يوماً مبكراً يريد أن يصلى الفجر حاضراً ولو مرة . هذه السهرة لم يكن لها أى لزوم . معرفته بأصحاب الدعوة سطحية . عيد ميلاد ست «شوشيت» . تحاول أن تبدو من طبقة «الهاى لايف» . ترطن بالفرنسية . لا يستريح لها أبداً . زوجته متأثرة بها . تراها نموذجاً للفتاة العصرية . عرفتها من النادى . صاحبتها «الأنتيم» يا خسارتك يا شهيرة . أصبحت لا تفهمه . شعر أنهما تباعدا . يتشاجرن كثيرا . الزفاف بعد أسبوعين بالضبط . الخميس بعد القادم . غير متحمس . ودّ تأجيله حتى يصلح ما بينهما . غير قادرة على تطوير نفسها . متجمدة فى مكانها . . تعيش بالضبط كما عرفها أيام «ثانوى» والمراهقة . تتهمه

بأن التزمت غلبه معقول أنا متأخر وأنت «مودرن» ؟ هل العصرية تعنى السهر والحفلات والماكياج ، حبه الكبير يتهاوى أمامه . يارب ماذا أفعل ؟ الحمد لله الدعوات لم تطبع بعد . سيفاتحها فى تأجـ . . . «أنا آسفة أتأخرت عليك» . امتعض عندما رآها فستانها أسود لامع . عارى الذراعين . فوجيء بجزء من ظهرها مكشوف . كوليه من ذهب بفصوص ألماظ يحيط بعنقها ويبرق فى صدرها . تساءل : «يا شهيرة هل هذا اتفاقنا ؟» . أجابت : «من الضرورى أن تكون زوجتك ملفتة وآخر شياكة . . كل صديقاتى اليوم فى الحفلة» .

مدت يدها حتى يرى ما فى أصبعها . . خاتم سولتير فى وسطه فص ألماظ : «ما رأيك» ؟ .

أجاب دون أن يبتسم : «جميل لأنه هدية والدك بمناسبة زواجنا . . لكن شعرك يظهرك مثل الغجرية . . غير لائق عليك ، تبدين مفتعلة . لو تركتيه على طبيعته خلف ظهرك لكان أفضل» .

- «حاول تشجيعى بكلمة . . تعبت فيه كثيراً» .

- «هذه هى المشكلة . . تتعبين فى أشياء فارغة . . لا أفهم سبباً للأزرق الذى تضيفينه فوق عينيك . . لونها الأزرق يغنى عنه» .

- ردت فى تحفز : «أنت لا تفهم فى الذوق ولا الموضة» .

التزم الصمت بعد أن شعر بتوتر الوضع . خرجا من المنزل . عمل على تغيير الموضوع . سألها فى المصعد عن الهدية التى رآها تحملها لصديقتها . ردت فرحة بما ستقدمه : «سلسلة ذهبية . . إنما تحفة» .

LIILAS.COM

- «وكم دفعت فيها ؟» .

- أجابت مغتاظة : «دائما تتحدث عن المال . الفلوس لاتهم فى شىء . لم أستخسر أن أدفع ٧٠٠ جنيه فى الهدية» .

- «مرتب مدير عام . لماذا هذا الإسراف ؟ » .

- «لا تكن بخيلا . . الهدية «جنان» تستحق هذا المبلغ» .

ما تفعله هو الجنون بعينه . قالها فى نفسه . تطلع إلى المستقبل . لابد أنها ستخرب بيته فى الإنفاق والتبذير .

انطلقت السيارة من مصر الجديدة فى طريقها إلى الهرم . . الحفل فى العزبة عند والد «شوشيت» . قال متمرداً : «المشوار بعيدا جدا ، وزوجها لا أعرفه» .

- «إنه إنسان لطيف ومرح . . . و . . .

كست الدهشة وجهه . شاهد سلسلة ذهبية بالدلايات تتدلى فوق قدميها . سألها فى استنكار : «هل وصل التزويق إلى الركبة ؟ أيضاً ؟ » .

- «أجابت ببساطة : «موضة هذه الأيام ولا ضرر منها» .

- انفجر : «هذا كثير كثير . . عيبك دائماً أنك تبالغين فى كل شىء . . قلت لك مراراً وتكراراً : «أريدك طبيعية كما خلقك الله . صدقينى أنت أجمل بدون كل هذه المساحيق . . وجهك حلو ، لكنك تعملين على تشويهه بالبودرة الثقيلة التى تضعينها . الروج على «شفايفك» فاقع جدا . . أنت بذلك تمسخين نفسك» .

نظرت إليه فى حدة : «غير معقول أن تتشاجر فى كل مرة أخرجُ فيها معك . . لا توجد امرأة تذهب إلى حفلة بدون ماكياج . . أنت تريد محجبة جالسة بالمنزل فى انتظار أوامر «سى السيد» للأسف تغيرت كثيرا بعد نوبة الدروشة التى أصابتك» .

رد مدافعا : «ليس هذا صحيحا . . عرفت ربى فقط» .

قالت وسهام عينيها مصوبة إليه : «وأنا أيضا أعرف الله ، لكن الفارق بينى وبينك أننى إنسانة مقبلة على الحياة . أما أنت فكل شىء عندك حرام . . أصبحت منغلقا . . أصحابك المشايخ خدعوك . . ضحكوا عليك» .

لانت نظرتها : «لا تغضب منى . . سامحنى على صراحتى . . قلت ما فى قلبى لأننى خائفة عليك وما زلت أحبك» .

ساد صمت رهيب . سرحت ببصرها إلى أيام زمان ، تذكرت هشاماً الذى أحبته ، شاباً جريئاً يحب الحياة والمرح والناس . انسجما بسرعة ، المغازلة وفن القبلات ، علّمها الرقص الغربى . سنوات وسنوات معاً . تجسد حلمها فى الزواج منه . رفضت من أجله أكثر من عريس ، لكن فجأة أصبح متزمتاً . لم يعد كما كان ، بعد تخرجه من كلية التجارة استولى عليه عدد من المتطرفين . إنهم زملاؤه فى الشركة . أجروا له غسيل مخ . انساق وراءهم ، ابتعد عن أصحابه القدامى الذين نشأ معهم . أخذ يتردد بكثرة على المساجد بحجة حضور دروس دينية . واظب يوم الجمعة على الصلاة خلف شيخ متشدد . كل شىء عنده حرام . أصبح هشام نكدياً . عمل على التضييق عليها . ترى ماذا سيفعل معها عندما

LIILAS.COM

يتم الزفاف ؟ باتت تخشى على حلمها القديم . تخاف أن يخنقها بالأوامر والتعليمات والحبس بين أربعة جدران . ليست مستعدة لتغيير أسلوب حياتها . ماذا تفعل ؟ هل تتركه ؟ مستحيل . ستصبح مطلقة . إنها فى ورطة حقيقية . نظرت إليه . ستطرد المتطرفين من حياته . لن تسمح أن ينتصروا على حبها . أمسكت يده . التفت إليها . خرقت الصمت (أريدك أن تظل كما كنت «هشام» الذى أحببته أيام المدرسة) .

– رد مبتسماً : «شهيرة» أنا أُحبك . كفانا مشاجرات . مطلوب من كل واحد أن يعمل على راحة الآخر .

– اتفقنا .

طردت الابتسامات العبوس ، سقط من الوجوه .

وأخيراً وصلا . . سألها قبل مغادرة السيارة : «ما اسم صديقتك الحقيقى» ؟ . «شويكار . . لكن إياكَ أن تذكره أمامها . . تحب أن يناديها الناس باسم الدلع . . شوشيت . . شويكار اسم بلدى» !!

تساءل فى دهشة مستنكراً : «شويكار بلدى . . عجائب» .

أخذتها صاحبة الحفل بالأحضان . صافحها فى برود . يرى كل شىء فيها مفتعلاً . . اسمها . . تسريحة شعرها . . الأصباغ التى تضعها على وجهها ، لكن أين زوجها . . رآه يقوم بتحضير كأس «ويسكى» لنفسه . أقبل مسرعاً عندما رآهما . . صافح شهيرة بحرارة . أول القصيدة كفر . طبع قبلة على وجنتيها . صافحه هشام متجهماً وهو ينظر إليه فى حدة . صفعه بعينيه . تمنى لو صفعه بيده أيضا . شعر المضيف بتوتر الموقف . ابتعد بسرعة .

انفجر هشام : «طلبت منك ألف مرة أن تضعى حداً لقبلات الغرباء» .

– «وماذا كنت تريد أن أفعل . . هل أصده ؟» .

– «نعم» .

– «لكنها قبلات أخوية ولا معنى لها» .

– «تقليد سخيف . . سخيف» .

قطع المناقشة قدوم ضيوف جدد على مائدتهم . انشغل عن الجالسين معه . سرح إلى بعيد . يفكر فى مستقبله معها . حرام أن يظلم نفسه ويظلمها . بعد كل هذا الحب أصبحت لا تصلح له . حقيقة مريرة يجب الاعتراف بها . يفكر فى كلماتها : «أنت إنسان منغلق . أصحابك المشايخ خدعوك» أبداً غير صحيح . يريد شهيرة عاقلة ومسئولة . فهل هذه رجعية ؟ .

(أنا متأكدة أن زوجها طلقها) نميمة فى الجلسة التقطتها أذناه . يتحدثون عن فتاة معهم فى النادى ، مالك وما لها يا شهيرة . وَدّ لو واجهها بهذا السؤال . تراجع . لا يريد الدخول فى مناقشات جديدة .

سألته شوشيت : «تحب تشرب «ويسكى» أم «كونياك» ؟ اشتد وجومه الذى أصابه منذ مجيئه : أنا لا أشرب . . . «كوكولا أحسن» ابتسمت ساخرة . لمح ابتسامات أخرى على وجوه عدد من الجالسين . علق أحدهم قائلا : «كأس واحد لا ضرر منه . . لا أعتقد أنه حرام طالما لا يُسكر» . تدخلت شهيرة : «لكن الويسكى» طعمه مر جدا . . لا أعرف لماذا يفضله البعض . فى آخر مرة

LILAS.COM

أصابنى بصداع» . شكرها هشام بابتسامة من قلبه . اتفق معها بالفعل على الإقلاع عنه . ها هى ذى اليوم تُوفى بوعدها . تبادلا الابتسامات ، عاد إلى طبيعته . حاول مشاركة الجالسين أحاديثهم حتى سمع زوجته تتحدث عن أحدث تسريحة . سكت مرة أخرى . تذكر المقلب الساخن الذى أعطته له . صبغت خصلات من شعره الطويل الأسود الناعم باللون الذهبى دون إذنه . . يومها غضب غضباً شديداً . ضاع نصف جمالك . بررت ذلك بأنه محاولة للتجديد . حاولت أن تقصّه على الموضة . رفض بشدة . تتحدث فى الجلسة عن الصبغات المختلفة . أيهما أجمل . كلام تافه . تدخل فى الحديث : الشعر الطبيعى لا يوجد أجمل منه خاصة إذا كان طويلاً وناعماً . «الكلام لك يا جارة . . فهمت زوجته أنها المقصودة . ردت على الفور : الدنيا تغيرت والموضة تتطور معها . الشعر القصير عملىّ أكثر . . أنا زهقت من شعرى الطويل» .

شكت إحدى الجالسات من الشغالة الفلبينية التى تعمل عندها . تتحدث فى التليفون بإفراط . يبدو أن عندها «بوى فرند» لا تعرف جنسيته ، كما أنها تكاسلت . . ولم تعد نشطة كما كانت تنوى طردها عما قريب . تبحث عن دادة أثيوبية . . لكن يقال أن بنات سيلان أشطر ، أما إذا وجدت شغالة من أندونيسيا فسيكون مكسبا . . إنها مسلمة على الأقل . نظر هشام إلى صدرها شبه العارى . تساءل كيانه : أى إسلام هذا الذى تحرصين عليه ؟ يا ست عيب اختشى .

أخذت عيناه تطوف بين الموائد . تذكر الكلمة القصيرة التى سمعها بعد صلاة الظهر اليوم فى الشركة : «تقوى الله مفتاح كل إصلاح» يا

سلام على التقوى فى هذا المكان . . آخر تقوى . . ! سخرت نفسه من نفسه . عنده انفصام فى حياته . هل يستطيع أن يقضى عليه ؟

أفراد فرقة أجنبية يستعدون للعزف . الحمد لله . استراح . لن يكن هناك رقص شرقى . فى حفل سابق رقصت زوجته على «الواحدة ونص» . أندمجت فى هز وسطها . صفق الحاضرون لها بحرارة . كان فى منتهى الإحراج . خاصمها عدة أيام . انطلقت أنغام حالمة فى المكان ، تابعها بأذنه . يحب الموسيقى الهادئة . استقرت عيناه على إحدى الحاضرات . محجبة . تضع ماكياجا صارخا . سبحان ربى كيف يجتمعان ! . فجأة وقع ما كان يخشاه . أحد المدعوين أدارت الخمر رأسه أخذ فى هز وسطه . رقص «عشرة بلدى» انقلب العزف إلى ألحان شرقية لتشجيعه ازداد حماس المدعوين عندما انضمت إليه سيدة فى منتصف العمر . نالت الكثير من كلمات الغزل والثناء وهى ترقص بإتقان . . انتظمت الأيدى فى التصفيق لها على «واحدة ونص» ارتفعت أصوات المهللين عندما أطاحت بحذائها من قدميها لتأخذ حريتها فى الرقص أكثر . شعر هشام بغربته . وحيد فى الحفل الممتلىء بالناس .

نظر إلى شهيرة . يارب تستر . تصفق وهى منتشية . هذا التشجيع كان يجب أن يكون لها ، لا يوجد من ينافسها فى هز الوسط . تشعر بالغيرة واثقة من قدرتها على جذب الأنظار . فقط تخشى هشاماً أف لماذا تغير هكذا وأصبح رجعياً ؟ زمان كان يسمح لها بالرقص بل يشجعها بالتصفيق . لعنت فى سرها هؤلاء المتطرفين الذين يصاحبهم . يمنعونها من التمتع بحياتها . نظرت

LIILAS.COM

إليه . جامد عابس . يا أخى ما تضحك «وتفرفش» . ارتفعت صيحات الاستحسان عندما أدلت صاحبة عيد الميلاد بدلوها فى هز الوسط . تابعتها شهيرة بإعجاب «بترقص حلو» لمحتها شوشيت . نادتها : «تعالى» . . كل خلجة فيها تدعوها أن تستجيب . أشارت إلى هشام . إنه يرفض . بدأ العرق يتصبب منه . تمتمت نفسه . لن أقبل أن ترقص . اتفقنا على ذلك . وعدتنى بالإقلاع عن هذه المسخرة . زوجتى محترمة . اندمجت المضيفة فى هز وسطها حتى وصلت إلي صاحبتها . «عن إذنك يا هشام» . جذبتها برفق . حاول أن يعترض : «آسف . . شهيرة لا ترقص . الهتافات تناديها : شهيرة . . شهيرة . . شهيرة أخيرا استجابت : التفت إلى زوجها» : أعذرنى هذه المرة . . إنها استثناء . . مناسبة خاصة . . لا أستطيع أن أرد لشوشيت طلباً فى عيد ميلادها» . لم تنتظر رده . بدأت تتمايل على «الواحدة ونص» وسط هوجة من التصفيق والتهليل والآهات . نجحت فى شد كل المدعوين إليها . صاحبة الحفل ذاتها انسحبت من أمامها وأخذت تتابعها بنظرات فيها قليل من الثناء وكثير من الحسد والغيرة . انفردت شهيرة بميدان الرقص بلا منافس . هشام وجهه صارم أنفاسه تغلى هل هذا اتفاقنا يا بنت (ال . . . .) . الأمر ليس مجرد مجاملة . ترقص بمزاج . نسيت ما حولها . بارعة فى هز خصرها . ما الذى تفعلينه يا مَرَة . ود لو قام وصفعها «قلمين» وشدها بعيداً . فضيحة بجلاجل فى انتظاره إذا فعل ذلك . اكظم غيظك وبعد ذلك حاسبها بعنف . حاول أن يقنع نفسه بهذا دون جدوى أى فضيحة جديدة لا تساوى ما تفعله الآن «إيه الحلاوة دى» طلقة ثناء أصابت أُذنيه وهى فى

طريقها من معجب إلى زوجته . زاد ذلك غيظه . الناس يغازلون زوجتك علنا وأنت ساكت» يا رجل يا أبا قرون» قم تحرك . افعل شيئاً . شهيرة تفرض عليك دائماً الأمر الواقع . «يا جميل يارايق أنت» رصاصة جديدة مرقت من جانبه فى اتجاه حلبة الرقص . نزف منه جرح عميق . لم يستطع أن يتحمل . صفع سلبيته . قام إلى زوجته . . . ارتبكت من المفاجأة . تمالكت نفسها بسرعة . حاولت أن تمسك بيده ليرقص معها . انتزعها بعنف صارخاً : «كفاية» . أسكت احتجاجه الفرقة الموسقية المصاحبة . سيطر الذهول على الحاضرين . لم تنبس شهيرة بكلمة . هى أشدهم ذهولا . حاول المضيف إنقاذ ما يمكن إنقاذه . قال بصوت عال حتى يسمعه الجميع «هشام معه حق يا جماعة . كفانا رقص . اتفضلوا البوفيه جاهز» «لم يستطع العروسان تناول أى لقيمات من العشا الفاخر . آثرا الانسحاب . انفجرت شهيرة بمجرد ركوب السيارة : «ما هذا الذى فعلته يامجنون ؟» .

– «اخرسى . . رقصك الخليع هو الجنون بعينه» .

– «حقيقى . . أنت متأخر ومتخلف» .

– «اندلع بركانه : أنتِ طالق . . . طالق . . .» .

فجأة ظهرت طفلة عابرة أمام سيارته . كاد يدهسها . أوقف سيارته بعنف . انطلق مجددا بعدما أفلت من كارثة فى آخر لحظة . مقبل فى حياته على كارثة . يحتاج إلى وقفة عنيفة كتلك التى قامت بها سيارته . الحمد لله لم يصطدم بالصغيرة . صدم شهيرة . نظر إليها . تبكى . دموعها تسيل . صدمة مطلوبة لعلها تفيق .

LILAS.COM

مفتاح نصف الليل

جرس متواصل . يتقلب فى فراشه . أشباح تطارده . اقتحموا منزله بعد منتصف الليل . وجه متجهم يتهمه . يسمع صراخاً . استغاثة . يارب من أين تأتى كل هذه الأصوات ؟ يعملون على تخويفه . حاول الهرب . انزلق تحت اللحاف ، وضع المخدة على رأسه . جرس جرس . لا يستطيع أن ينسى هذا اليوم . انقضوا فى وحشية . تفتيش لا يرحم . قلبوا بيته رأساً على عقب . . سحبوه من وسط أهله . بكاء أطفاله . ذهول زوجته . قاموا بتعصيبه . . غمامة على عينيه . دفعوه إلى السيارة . لابد أنها عربة بوليس . انطلقت تنهش الطريق . اتجهت إلى السجن . اتجه إلى الله . لا . . لن يعود إلى هناك من جديد . . يارب ارحمنى . . يارب يارب يااارب يااارب يااااارب ! استيقظ فزعاً . ياله من كابوس . . ما هذا ؟ إنها حقيقة . رنين الباب لا يتوقف . أطلق لأذنيه العنان ؛ جاءته بالخبر اليقين . . قدموا من جديد . «المباحث ياحاتم» . . عزفت زوجته لحناً جنائزياً : «لم يمر سوى شهرين على الإفراج عنك . . ما هذا الذى تقوم به ؟ هل أنت فى تنظيم سرى ؟ .

رد دون أن يستنكر سؤالها : «تعرفين أننى صحفى ولا أملك سوى قلمى» .

قالت معاتبة : «قلت لك ألف مرة ابعد عن رئيس الدولة ولا تهاجم الداخلية ، لست قادراً على مواجهة هؤلاء المجرمين . . كفانا بهدلة» .

جرس . . جرس . . الفزع يطل من عينيها . . حاولت ألا يصل إلى شفتيها وهى تقول : «افتح لهم بسرعة حتى لا ينتقموا من المنزل كما فعلوا فى المرة الماضية» .

أمسك ساعته بيد مرتعشة . . الثانية بعد نصف الليل ، قانون الطوارئ يبيح اقتحام البيوت فى أى وقت . عمل على ضبط أعصابه . حاول تقبل المصيبة القادمة . الاستسلام للأمر الواقع . . السجن لا يخلو من فوائد . استراحة من الحياة . خلوة طويلة مع الله . قرأ القرآن كله فى أثناء اعتقاله الأول ؛ واظب على قيام الليل ؛ لم يستطع أن يفعل ذلك وهو حر طليق يلهث من موعد إلى آخر . ولا يعرف الراحة .

أفاق على صوتها : «لماذا هذه الوقفة ؟ تحرك . . افعل شيئاً» .

قال وهو أكثر هدوءاً : «ضعى لوازمى فى حقيبة صغيرة» .

استمدت منه نوعاً من الثبات : «ربنا معنا . . هل تريد إخفاء أوراق مهمة ؟» .

رد بابتسامة ساخرة : «لم يتركوا لى ما أخفيه . . أخذوا كل شىء فى المرة الماضية» .

تقدم ليفتح الباب . بدأ الخوف يهاجمه مجدداً . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» .

تذكر الدكتور «ضياء» رفيقه فى الحبسة الأولى . كان له نورا . . قال بعد إغلاق الزنزانة عليهما «تعال بنا نذكر خالقنا . . الله تعالى يقول : «أنا أنيس من ذكرنى» . . نزلت كلماته برداً وسلاماً

LIILAS.COM

وروت نفسه العطشى . يحتاج إلى زميل من هذا النوع فى الشدة الجديدة . . نظر إلى محنته القادمة من العين السحرية . . لم ير شيئاً . لابد أنهم ينتظرون على السلالم . . فى المرة الماضية هاجمه أكثر من عشرة أشخاص مسلحين بالرشاشات كانوا يرتدون ملابس سوداء قاتمة . . ترى كم عددهم هذه المرة ؟ أوشك أن يسأل عن الطارق من حقه ذلك . أمسك لسانه . فى آخر لحظة . يعرف الإجابة مسبقاً .

بسم الله الرحمن الرحيم . . أرجوك يارب ارحمنى من هذه البهدلة . توكلت عليك . فتح الباب . لم يجد الشرطة . رأى جاره واقفاً أمامه . ؟ «أنا آسف جداً لكنك نسيت مفتاح شقتك بالباب فأردت أن أعطه لك» .

خيم الصمت المطبق على حاتم . شعر طارق الليل من العيون الحادة المصوبة إليه بجسامة خطئه . أخذ يبرر فعله : «أعرف أن إيقاظك فى هذه الساعة أمر غير مناسب ، لكن لم يكن بوسعى الاحتفاظ بمفتاح بيتك معى» .

سكوت حاتم أبلغ من أى كلام ، ورب إشارة أبلغ من عبارة .

الجار : واضح أنك كنت نائما نوماً عميقاً . أعتذر من جديد ، لكنك كنت معرَّضاً للسرقة ، وجود مفتاح شقتك بالباب دعوة مجانية للصوص ، أردت أن أحميك خاصة أن الحوادث قد كثرت فى هذه الأيام .

رفض لسانه أن ينطق بكلمة «شكراً» . غرق فى صمته المطبق . تملكت الدهشة جاره من هذا الواقف أمامه كالتمثال لا يتحرك . .

قال لنفسه : أخطأت بالفعل فى هذا التصرف . كان نائماً بعمق . من الطبيعى أن يعتبرنى كابوساً . تقدم إليه ليعطيه المفتاح وقلبه يدق . خاف أن يمسكه ثم ينهال عليه ضرباً . سحب يده بسرعة بمجرد انتهاء مهمتها . تراجع من أمامه بظهره قائلاً : أرجوك أعذرنى . نيتى حسنة . . «أنا آسف» .

تنهد بمجرد دخول شقته كأنه عاد من مغامرة خطرة . . الذهول مازال ممسكاً بعناق حاتم .

تساءلت زوجته ساخطة : «هل يعقل أن يدق علينا الباب فى هذه الساعة مهما كانت الظروف . حاول أن ينقض عليه تجريحاً ، تذكر الشرطة التى داهمته المرة الماضية . نطق أخيراً بعد طول صمت : الحمد لله .

LIILAS.COM

فرح ومستور

مرق من جانبه بسرعة . لم يلق السلام عليه . تجاهله تماما . لايعترف بوجوده . يعرف السبب . شتان الفارق بينه وبين أخيه . لوى شفتيه احتقارًا . أخذ «انطون» يقارن بين الشقيقين وهو يصعد درجات سلم منزله محملاً بأكياس من الفاكهة : «فرح» ضاحك . خفيف الظل . تنفرج أساريرك بمجرد أن تشاهده . يدخل «الفرحة» فى قلوب الآخرين . حريص على مجاملته فى مختلف المناسبات . «مستور» عكسه تماما تقول بمجرد أن تشاهده يا ساتر ! أصابه مس من الجنون بعد أن تدين ! غليظ جاف . لحيته تركها دون تهذيب . هل هذا من الدين فى شىء ؟ لماذا لا يقوم بالاعتناء بها مثلما يفعل شقيقه ؟

وصل إلى الدور الثالث ، أتعبه السلم . . تجاوز الخمسين من عمره . هذه الأكياس تزيد من أعبائه . جاءته النجدة : سمع صوتاً . عرفه على الفور . . إنه «فرح» . اكتسى وجهه بابتسامة تلقائية . «أهلا أهلا يا أستاذ أنطون» قالها من قلبه . أصر أن يحمل عنه فاكهته . أوصله إلى شقته . نظر إليه جاره ممتنا . «ألف شكر . . أنت إنسان فى غاية الذوق» . شد على يده فى حرارة .

عاد «فرح» إلى منزله بعد صلاة الجمعة مباشرة . لا وقت للضياع . اعتذر حتى عن درس تجويد القرآن . واظب على إلقائه منذ أشهر . . «ربنا سيفتح عليك ويزيد من قدرتك على التحصيل

إذا حرصت على تعليم الناس تلاوة كتاب الله رغم انشغالك فى المذاكرة» . رفض هذا المنطق الذى احتج به بعض الحريصين عليه : «أنا آسف ، شخص مؤقت سيخلفنى . . بعد الامتحانات سأتفرغ لكم . . نجاحى أهم من أى شىء» .

لم يقتنعوا بوجهة نظره : «لكن ما تقوم به له أجره عند الله» .

– «المذاكرة لها نفس الثواب» .

– «كيف تترك هذا الخير العميم ؟ انقطاعك عن الدرس يحرمك من ثواب عظيم . . تستطيع الجمع بين الأمرين» .

– صدقونى . . محتاج إلى كل دقيقة . . الهندسة صعبة ، خاصة قسم مدنى الذى أنتمى إليه .

انصرف رغما عنهم . أخذ فى مراجعة دروسه . مادة «تحليل الإنشاءات» ثقيلة ، تحتاج إلى تركيز ، عقله مشتت . يفكر فى شقيقه الأصغر . مقبل على كارثة . . كيف ينتشله من البيئة الفاسدة التى يعيش فيها ؟ ضحية للتدين المغشوش .

حان موعد الغداء . صمت يحيط بالمائدة . . «مستور» تأخر . الأم شاردة تمضغ أحزانها . . انفجر الأب : «هذا الولد سيخرجنى من دينى . . الامتحانات على الأبواب وسيادته لم يأت بعد «نظر إليه ابنه مشفقا . ما خفى كان أعظم . آه لو يعلم بقرار أخيه . لا يود أن يصدمه بالحقيقة المؤلمة . أكمل كلامه محتداً : «لا أدرى أين يذهب ؟ أصبح كثير الغياب عن المنزل . إذا رسب للمرة الثانية فلا مكان له فى بيتى . . سأطرده . . و . .

LIILAS.COM

قاطعه ابنه فى فزع ؛ «أرجوك لا تكمل يا بابا . «مستور» طيب . فيه خير كثير عقابه لن يجدى . . المهم أن نعرف كيف ننتشله من الجماعة التى يسير معها» .

«أنت خائب . . تدعى أنك داعية إسلامى وتركت أخاك فريسة للمتطرفين» .

تجهم «فرح» . أسقط عينيه فى طبق الشوربة . أصاب والده كبد الحقيقة . ترك أسرته واهتم بالآخرين . أحكم السكون قبضته على الجالسين ، . اخترقت أمه الصمت قائلة فى حزن : «ابنى لم يكن كذلك أبداً . تغيرت أحواله . ليس هذا مستور «الذى ربيته» .

واصل الأب العزف على نفس النغمة : «ابتعد عنا منذ أن أصبح شيخاً وعلاقاته بأقاربه سيئة جدًا . . مصمم على مخاصمة عمه بحجة أنه يشرب الخمر . . وأنت مالك «يا بارد» ! له رب يحاسبه» .

حاول «فرح» أن يدلى بدلوه : «بر الأهل من الدين . . الشطارة أن يقنعه بالإقلاع عن الخمر لا أن يقاطعه» . فوجئ بقذيفة من والده !» «وهل أنتم أوصياء على الناس . . كل واحد حر . . المهم أنه لا يسكر» .

«لكن الخمر حرام بنص القرآن» .

«لا . . ربنا قال اجتنبوه فقط . . تشبه أخاك فى تزمتك وتربية لحيتك» .

انطلقت الأم مدافعة : « . . على الأقل «فرح» مجتهد وبار بأهله وكل الناس تحبه» .

حاول الأب الرد . سمع الجميع مفتاح الباب يدور . قال الابن فى لهفة : «مستور وصل . . أرجوك يا بابا اضبط أعصابك» .

دخل عليهم . . شاب طويل ممتلئ الجسم . عيناه سوداوان واسعتان حادتان . وجهه يقطر صرامة . . نظروا إليه كأنهم يشاهدون مخلوقاً عجيباً .

«السلام عليكم» . . قالها يؤدى واجباً .

سمع همهمات حتى جاءه صوت أخيه يرد التحية : «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته» .

عاتبه والده لتأخره على موعد الغداء . رد فى صوت جاف : «تناولت الطعام مع أصحابى» .

تدخلت الأم : «كان لابد أن تخبرنا حتى لا ننتظرك ، ثم إن الامتحانات على الأبواب» .

قبل أن يجيب جاء صوت الأب ساخراً : «طبعاً أكلت معهم بالطريقة إياها . . بيدك . ومن طبق واحد وأنت جالس على الأرض ، وأراهن أنك قمت بلعق أصابعك بعدها !» .

نظر إليه بملء عينيه ، رد فى تحد : «لا تسخر من السنة !» .

انفجر أبوه : «هذا كلام مجانين . . مستحيل أن يكون النبى قد قام بتحريم «الشوكة والسكين» ، أو طلب من المسلمين الجلوس على الأرض فى أثناء الأكل . . رسولنا كان نظيفاً . . حكاية لعق أصابعك وساخة تتنافى مع الدين ؟ اذهب واغسل يدك وابعد قذارتك عنى» .

LIILAS.COM

احتقن وجه مستور . ازداد تجهما . تمتم ببضع كلمات غير مفهومة . يرتعش من الغضب . أمسك بصعوبة لجام لسانه . لم يرد على والده . انسحب إلى غرفته وفجأة هتف : «حسبى الله ونعم الوكيل» رد عليه أبوه بصوت عال : «ربنا يشفيك . . الإسلام برئ منك أنت وأصحابك» . فرت دمعة من الأم . الدمعة الهاربة أربكت حدة الأب فهدأ .

لحق فرح بشقيقه . ابتسم له ليداوى غضبه . حاول تطييب خاطره : «والدى يقسو عليك لأنه يحبك . . خائف عليك» .

رد فى حدة : «بل أنا الذى أخشى عليه من عذاب الآخرة . . كيف يعطينى دروساً فى الإسلام وهو غير منتظم فى صلاته . . فليصلح نفسه أولا» .

احتفظ بهدوئه قائلا : «حدث تغيير كبير فى حياته . . أصبح يواظب حاليا على صلاة الجمعة ، كما أنه يحرص على معظم الصلوات . . و . .

- «يا أخى إنه لا يصلى الفجر أبداً . . دائما ينام حتى مطلع الشمس» .

- «لايكفى أن تنتقده . . المهم أن تساعده على تغيير نفسه كما أفعل» .

- «حاولت معه دون جدوى . . ولكنه . . .» .

- قاطعه أخوه : «كنت فظا غليظا معه . . وتصرفاتك جعلته ينفر من الدين» .

قال مستور فى عصبية : «لا ياسيدى . . كل ما فى الأمر أننى أصبحت إنساناً جديداً منذ أن التزمت بتعاليم الإسلام . «وهو لا يفهمنى ودائماً يتشاجر معى» .

أضاف ساخراً : «سيادته زعلان جدا لأ ننى لم أعد أقلد الأوروبيين واستغنيت بالجلباب عن ارتداء القميص والبنطلون . . كارثة . . طامة ما فعلته . . لماذا لا يحترم حريتى الشخصية ؟ » .

«حاول أنت أن تفهمه . . إنه يخشى عليك من المشاكل . ياأخى بر الوالدين من الإسلام أيضاً» .

استمر أخوه فى صياحه : «أبى على عينى ورأسى . . لكننى أحب الله ورسوله أكثر منه . . ملتزم بتعاليم دينى ولو لم يرض والدى عنى» .

«عقله ضرب تمام» . . قالها «فرح» فى نفسه . . الجدل معه سينتهى بخناقة . نظر إليه . فى حسرة ملأت فؤاده قائلا : «أنت فاهم الإسلام خطأ . . هناك أولويات فى الدين أهم مما تقوم به . . الأمور عندك مختلطة» .

أجابه فى حنق وغيظ : «للأسف أنت الذى تعمل على تكييف حياتك وفق متطلبات المجتمع الجاهلى الذى تعيش فيه . . أما أنا فأعض على دينى بالنواجذ» .

استعد مستور لمغادرة المنزل من جديد . فوجئ بذلك أخوه ، سأله عن وجهته ؟ «سأذهب لأصلى العصر فى الجامع . . الصلاة فى المسجد سنة مؤكدة لو كنت تعلم» .

LIILAS.COM

أخذت الدهشة «فرح» يقول له : «غير معقول ما تفعله . . عدت إلى البيت منذ أقل من ساعة ، وامتحانك فى الحقوق الأسبوع القادم» .

– «الصلاة أهم من أى شىء . . ثم إننى قد أخبرتك عن عزمى على ترك الحقوق . . لا يمكن أن أدرس القوانين الوضعية المستمدة من فرنسا . . سأعمل وأكسب من عرق جبينى» .

حاول شقيقه إقناعه بالبقاء فى المنزل دون جدوى . . أشرقت فى ذهنه فكرة : «سأذهب معك لنصلى سوياً» .

– «ولماذا تريد أن تأتى معى ؟ » .

– يا أخى . . أريد أن أكسب ثواب صلاة الجماعة» .

وافق مستور على مضض . نظر إلى أخيه فى شك . . تُرَى ماذا يدبر لى ؟

انطلقا إلى المسجد . . أخذ «فرح» يدعو الله فى سره أن يقف إلى جانبه ، مقبل على تحد خطير ، كان يجب أن يذهب إلى هناك من زمن . تعجب من نفسه وتساءل لماذا تأخر ؟ المهم فى المواجهة الكياسة واللباقة والقوة فى نفس الوقت .

وصلا : إنها زاوية صغيرة وليست جامعاً كبيراً كما يتصور . . تطلع إلى الموجودين . . لم يسترح . لحى كثة . وجوه جامدة .

استعار شقيقى من هذا المكان عبوسه . لماذا لا يبتسمون ؟ الإسلام دين حلو جميل لا يعرف هذا التجهم . ثم أين بقية الناس؟ يبدو أن هذا المكان خاص بهذه الجماعة وحدها . عدد

المصلين من خارجهم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة . تأخرت الصلاة . . أذان العصر مر عليه ربع ساعة . بدأ «فرح» يتبرم . عندى مذاكرة . . أسكت تمرد نفسه : لابد من الصبر . أخى أهم . . وأخيراً أقيمت . . تطلع إلى الإمام . . يمسك فى يده بمسواك كبير استخدامه فى دعك أسنانه . كان مقززاً . ثار فرح . كظم غيظه «السواك من السنة وليس بهذا القبح» . يمكن استخدامه بطريقة أرقى من ذلك وأرشق . احتفظ برأيه لنفسه . للأسف نسى سواكه فى منزله فى لخمة جدله مع أخيه . ود لو بين لهم كيف يمكن اتباع السنة النبوية بوسيلة حضارية .

الصلاة طويلة طويلة . . عرف لماذا يقتصر المكان عليهم وحدهم . أخيراً انتهت . بحث عن أميرهم . يبدو أنه الشيخ الذى كان يؤمهم فى الصلاة . التفوا حوله . سارع فى التعرف عليه : «أخوك فى الله فرح عبد الله مسعود شقيق مستور الكبير» . أهلا وسهلا» . . قالها فى تحفظ دون أن يبتسم . صقره بعين حادة . يفتش عما وراءه . تنحنح «فرح» . الكل فى حالة صمت . الأمير يلتهمه بنظراته . شعر بغربته . موقف حرج . يريدونه أن ينصرف . اتفضل من غير مطرود . رغبة تدور فى نفوسهم . لكن يجب أن يسحب معه أخاه . أدعى أنه يتأهب للخروج : «إن شاء الله سنلتقى كثيراً ، لكن يجب أن أستأذن الآن . . امتحاناتى على الأبواب» .

– «وفقك الله» . . قالها كبيرهم دون أن يلح عليه فى الجلوس .

أخيراً كشف عن هدفه : «أرجو أن تسمحوا لمستور بالإنصراف هو الآخر» مواد الحقوق طويلة وتحتاج إلى جهد كبير .

LIILAS.COM

رد أخوه محتجا : «لا شأن لك بى» .

انطلقت همهمات . . قال أحد الجالسين فى حدة : «لا يمكن أن نطلب منه الاجتهاد فى الباطل» .

جاءه صوت آخر : «كيف يمكن أن يدرس نظم الجاهلية» ؟ أجاب على نفسه : مستحيل» .

اندفع ثالث : «أولى له أن يولى عنايته إلى الشريعة الإسلامية بدلا من القوانين الأوروبية» .

طاف عليهم أميرهم بنظرات أسكتتهم . التفت إلى «فرح» . ازدادت صرامته وهو يقول : «غيرتك على أخيك محمودة ، لكنه اختار طريقاً آخر» .

- «له الحق فى اختيار طريقه بعد انتهاء دراسته» .

رد الأمير فى هدوء محتفظا بتجهمه : «كيف يدرس شيئاً لن ينفعه فى حياته بل يتعارض مع مبادئه ؟ » .

أجاب «فرح» وقد قرر أن يتحداه : «الحقوق لا تتعارض مع تدينه ، دراسة القوانين تساعده على فهم المجتمع الذى يعيش فيه وتؤهله للدفاع عن المظلومين» .

تنهد الأمير مستمداً طاقة على الصبر : «إنه مجتمع جاهلى . . ولا يمكن أن يدافع عن المؤمنين بقوانين ما أنزل الله بها من سلطان ، الظلم سيختفى عندما تتغير الأوضاع ويصبح مجتمعنا إسلاميا» .

أفلتت أعصاب الشقيق الأكبر قال وقد ارتفع صوته : «جاهلية . . جاهلية سمعت هذه الكلمة منذ أن جئت إلى هنا عدة

مرات . . أنا أيضا داعية إسلامى . . مجتمعنا ليس سيئا إلى هذه الدرجة . . فيه كذلك خير كثير» .

رد أحد الحاضرين : «وهل المنكرات المنتشرة تدل على تمسكنا بالإسلام ؟ . . الخمور . . الميسر . . التبرج . . الزنا . . .» .

- «أهل مصر يحبون دينهم رغم كل ما تراه . . وكل مجتمع فيه إيجابيات وسلبيات» .

تدخل الأمير وهو يعمل على إنهاء النقاش : «أخوك قرر اختيار طريق جديد منذ أن عرف حقيقة الإسلام ، والمفروض أن تساعده على ذلك بدلا من أن تقف فى وجهه . . ياحضرة الداعية» .

لاحظ «فرح» سخرية محدثه والابتسامات التى صاحبت ذلك على الوجوه . . نظر إلى أخيه . التقط حيرته . . بين الإشفاق على شقيقه وطاعة أميره . شجعه ذلك على مواصلة تحديهم ؛ قال فى قوة كأنه يلقنهم درسا : «الدعوة إلى الله لا تعنى العزلة والابتعاد عن الناس والانقطاع عن الدراسة . . وسوء العلاقة مع الوالدين . .و

قاطعه أحدهم مستهزئًا : «كل همك أن يكون أخوك من حملة الشهادات العليا . . ليسانس !» . انطلقت الضحكات ساخرة .

أضاف ثان : «أنت أسير المجتمع الجاهلى الذى تعيش فيه . . رابطة الإسلام يجب أن تكون فوق كل شىء حتى فوق الأهل . القرآن الكريم صريح فى هذا : «قل إن كان آباؤكم او أبناؤكم او . .

صاح فرح مقاطعا : «لا تلوى آيات القرآن وتفسرها على هواك . . أين «ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا» . . لماذا لاتتلو آية

LIILAS.COM

«ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما» . . تلقى ضربة قوية على رأسه من الخلف . . آه توالت الضربات والصفعات عليه . أكثر من يد تبطش به . سمع من يقول : «أنت معاند ، مكابر ، لا يصلح معك إلا العصى» . الألم يعصف بمستور نفسه «تصرخ» يتلوى من كل لكمة تصيب أخاه . أصيب بهلع . . تداعت بقايا التردد عندما سقط «فرح» أرضا .

انتفض محتجا صائحا : «حرام عليكم» . . انقض على الضاربين يشدهم بعنف بعيدا . سالت دموعه وهو يحتضن شقيقه ويمسح دماءه . علت الدهشة وجوه أفراد الجماعة . جاءه صوت غليظ : «رسبت فى أول اختبار . . . فضلت أخاك علينا . قدمت رابطة الدم على الولاء للجماعة» أكمل آخر : «يا أخى الابن كان يقاتل أباه من أجل الإسلام» . نظر إليهم مستور فى حدة معاتبا «ماذا فعل أخى حتى تضربوه هكذا . . إنه مسلم مثلكم ، ويحب الله ورسوله» . أخذ يسند «فرح» خارجين من المسجد ، بينما الأمير يقول : «اتركوه يفعل ما يشاء . . لا يصلح معنا . ابتسم الأخ المصاب رغم آلامه وأوجاعه . شقيقه فى أحضانه . فرح حقيقى يافرح .

لاعب فى السماء

حاول المراوغة . لم يفلح . ما الذى جرى ؟ كان نهازاً للفرص . يعرف كيف ينقض . اشتهر بمفاجآته . عُرف بمكره ودهائه . له عشاق كثيرون . مشجعو الأهلى أطلقوا عليه لقب الثعلب . الحمد لله التعلب تاب تاب ! عاد من الحج منذ يومين . تملؤه دفعة روحية . إنها اليوم زاده . قوته الأساسية . الجمهور يهتف «للشياطين الحمر» . هتاف سخيف . أرجوكم اهتفوا للأهلى فقط . يكره إبليس . رجمه فى «منى» . جاءته الكرة . أضاعها . كاد الشيطان أن يُضيعه . فى الأراضى المقدسة قذفه بكل قوته . بالفعل كان يريد أن يضربه . يتشاجر معه . كم أفسد عليه حياته . و . . . جووون . . . الكرة فى مرمى الأهلى . يالها من مصيبة . . «يازمالك يا مدرسة . . (فن ولعب وهندسة) أخذ جمهوره يهلل . أخيراً أحرز هدفاً فى خصمه التقليدى . وقته قاتل . . قبيل نهاية الشوط الأول ببضع دقائق .

بين الشوطين قرر المدرب تغييره . «لست فى «الفرمة» . أخطأت باختيارك» .

– «أرجوك أعطنى فرصة . تعلم أن حظى طيب دائماً مع الزمالك بالذات . فى المباراة الماضية كنت سبباً فى الفوز» .

– «لكنك لم تفعل شيئاً اليوم . مستواك هابط . واضح أنك متعب من الحج» .

LIILAS.COM

– «بالعكس روحى المعنوية مرتفعة . سأبذل أقصى جهدى فى الشوط الثانى» .

صلى العصر . . أخذ يدعو فى سجوده « . . . أرجوك يارب ساعدنى . لا ترضى أن أخسر أول مباراة لى بعد الحج» .

نزل الملعب من جديد . جمهور الأهلى صامت . الأعلام الحمراء منكسة . الرايات البيضاء تزغرد . «بركاتك ياحاج» . التقطتها أذنه من أحد المشجعين . سيعمل على تغيير النتيجة . واثق من نصر الله . بدأ الشوط الثانى . الكابتن «جعفر» يتبختر . إنه هداف الزمالك . هز شباك الأهلي . معروف بفنونه الكروية وغزواته النسائية ! يجرى فى الملعب ووراء البنات . كان مثله قبل تدينه . كم لهث وراء «صفاء» . جرى وجرى تقطعت أنفاسه . عرف «الصفاء» الحقيقى فى مكة . ما أجملها من أيام ! لكن أين الكرة ؟ لا يجدها . «صفاء» السبب . . انتبه بهذه الطريقة سيخسر المباراة كما خسر فتاته . لا . . هناك أمل . . سيحاول التسلل إلى قلبها من جديد . أطلق الحكم صفارته . رفع مساعده رايته . إنه متسلل . مغتاظ من نفسه . يريد صفع كيانه . فى الحج كان فى قمة نشاطه . اليوم بعيد عن لياقته . لا يعرف كيف يهرب من رقابة خصمه . هرب من الحياة عند أعتاب الكعبة . احتضنته الملائكة . غمرته الروحانية . يرى الأفكار الدنيوية تغزوه . لابد أن يركلها بقوة . مصمم على التعلق بالسماء . تحركت قدماه بالفعل «شوطة» قوية . ذهبت الكرة عالية بعيدة . قذفها فى السماء . استهجان من الجمهور . «خيبتك يا أهلى» . عيون زملائه تطل عليه بنظرات

عتاب . شاهد لاعباً احتياطياً يستعد ، يسخن . بعد قليل سيقومون بتغييره . كارثة . لابد أن يدرك نفسه . مطلوب أن يترك السماء ليلعب فى الاستاد . كفاه هروباً من الدنيا . يجب أن يعود إليها ليهرب من خصمه .

استأذن الملائكة . هبط بمظلة أفكاره على الأرض . رأى الجمهور يهتف : «بص . شوف . الزمالك بيعمل إيه» لن تفرحوا طويلا . سألقمكم هدفاً يسكتكم . «فات» من واحد . «زاغ» من آخر . رفع الكرة بينيَّة جميلة إلى لاعب متقدم ليلعبها قوية بجوار القائم الأيمن مباشرة . أيقظت الهجمة المنظمة مشجعى الأهلى . دبت الحماسة فيهم من جديد ، راوغ ظهير الزمالك ببراعة . اشتعلت الهتافات . تقدم نحو المرمى . فكر فى إرسال كرته إلى لاعب غير مراقب . عدل عن رأيه . أطلقها قذيفة مفاجئة ، لكن حارس الفريق الأبيض صدها بأعجوبة ، أنقذ مرماه من هدف محقق . ضرب لاعب الأهلى الأرض بقدمه ساخطاً . الحظ يعانده . . يارب ارحمنى . . ضاعت فرصتان فى أقل من خمس دقائق ، فقط نريد التعادل . أنت قادر على كل شىء ، اكرمنا بهدف أرجوك .

توالت هجمات الفريق الأحمر . ضربة ركنية لصالحه . لاعبو الفريقين فى منطقة جزاء الزمالك . زحام شديد يشبه الحج . كتل بشرية . استطاع رغم ذلك الوصول إلى الحجر الأسود . قام بتقبيله . سالت دموعه متى يصل إلى مرمى خصمه ويبكى من فرحته ؟

LILAS.COM

رفع كرة ضعيفة . عقله مشتت . مازال فى قبضة الروحانيات . تعثر فى الحجر الأسود . يوم أسود إذا انتهت المباراة بهذه النتيجة . استجمع إرادته . صمم أن يهجر خيالُه الكعبة . كفاه ما حدث فى الشوط الأول !! ضميره لن يرضى إلا باللعب ! تقفز الدقائق . تفر الثواني . الانغماس فى الدنيا وسيلة الإنقاذ . أرسل أكثر من تمريرة بينيَّة إلى زملائه . واتته فرصة جديدة . جاءته الكرة «مقشرة» . أطلقها «صاروخ أرض أرض» ، مرت بجوار المرمى مباشرة . «ياه» على الحظ . فرصة أكيدة ضاعت . يارب أتوسل إليك فلا تخذلنى .

كشف الفريق الأحمر من طلعاته . اضطرب لاعبو الزمالك . ارتكبوا خطأ قاتلا . . عرقلوا لاعباً عند مرماهم ! أطلق الحكم صفارته . احتسبها ضربة جزاء . هلل جمهور الأهلى . صمت مشجعوا خصمه . وضعوا أيديهم على قلوبهم . التعادل قادم . صمم اللاعب الحاج أن يتصدى لهذه الكرة . واثق من نجاحه . حاول أحد زملائه الاعتراض : «يا كابتن دعها لغيرك . لست اليوم فى أحسن حالاتك» .

- «أنا أكثركم خبرة . وستتأكد من ذلك عندما أسدد الكرة» .

نبهه لاعب آخر : «إذا ضاعت هذه الفرصة . . خسرنا المباراة» .

- «إن شاء الله سيكرمنا بأغلى هدف» .

صمت الملعب تماماً . خيم السكون على جمهور الفريقين . كلهم يترقب ما سيحدث . ينتظر فى لهفة اللعبة المصيرية .

نظر اللاعب الأهلاوى إلى الحارس الزملكاوى . رآه مستعداً للانقضاض . شاهد القلق يأكله . يخشى دهاء الثعلب ومكره . ترى أين سيضع الكرة ؟ التقت العينان . كل منهما تتربص بالأخر . تخاطبها دون كلام» .

- متيقظ لك ولحركاتك ، لن يتكرر ما حدث فى المباراة السابقة . تنتظرك أكبر خيبة أمل .

- سترى منى «العين الحمراء» . سأخدعك بفن حتى ترتمى يميناً ثم أضع الكرة يسارك . . لا سأفعل العكس . . أنا من أهل اليمين !!

تراجع إلى الوراء بضع خطوات . . تمتم : «بسم الله الرحمن الرحيم» . . نظر إلى الزاوية اليسرى من المرمى . . اندفع بكل قوة لتنطلق قذيفته على يمين الحارس . . خدعه بالفعل . . ارتمى الناحية الأخرى . . لكن الكرة أبت دخول المرمى . . اصطدمت بالقائم ليشتتها دفاع الخصم بعيداً . صرخ متألما . بذل مجهوداً حتى لا يقع متشنجاً . دفن وجهه بين كفيه متحسراً . نظر إلى السماء باكياً . قبع كل «أهلاوى» فى مكانه مذهولاً صامتاً . هتف جمهور الزمالك لفريقه مهللاً ، سجد حارس مرماهم لربه شاكراً ، ردوا اعتبارهم وفازوا فى المباراة الحاسمة .

LIILAS.COM

ترانزيت مع إبليس !

المسافة قصيرة بين الجنة والنار . بينهما بضعة أمتار . عنده موعد هنا وهناك . خطا خارج منزله . ألقى نظرة وداع . تساءل متى يعود؟ أخطر ساعات عمره قادمه . لحظات فاصلة . إما يندفع بقدميه إلى هاوية سحيقة ، أو يصعد إلى السماء . أخذ يخطو درجات السلم . حائراً . ضميره يقلقه . غريزته تناديه . لا يدرى لأيهما يستجيب . عقله يدعوه إلى حضور الدرس الأسبوعى لتفسير القرآن فى المسجد القريب . تعود أن يذهب إليه . موعده بعد صلاة المغرب . ولكن المشكلة أن النار وعدته بالاحتفاء به ! أول مرة يلتقى بها على انفراد . ليس صحيحاً أن الشيطان يدخل الرعب فى النفوس . أبداً إنه جميل جميل . ابتسم فى حزن لاكتشافه .

حاول أن يقاومها كثيراً دون جدوى . يحتاج إليها ليروى ظمأه وشبابه . امرأة مثيرة . آه من مفاتنها . يتوارى إبليس بجانبها خجلا . ينحنى لها احتراما . يريد أن يشرب من جسدها حتى يشبع . يرتوى من كل قطعة منها . ما أجمل هذه الجحيم ! نار وأية نار ! تخيل نفسه فى أحضانها . يعانقها . يحضنها . يقبلها . سامحنى يارب . أعرف أنك ستغضب منى ، لكن أرجوك اغفر لى . أعدك بأن أبدأ من الغد صفحة جديدة معك . توبة نصوح . أما الآن فأعطنى إجازة ! قلبه يهبط درجات السلم . فى طريقه إلى الزنا . يالله من عار ! حرام حرام أن ينفرد بها فى شقتها . نفسه

تحتج ، إنها فى مأتم تبكى عزيزاً . متدين يلفظ أنفاسه . لابد أن يقاوم . أطل عليه أصحابه من المتدينين . تذكر ما سمعه منهم عن الجهاد فى سبيل الله . جهاده من نوع خاص . أشرس أنواع الحروب حرب دموية . سأقاتل جسدها . كل قطعة منها متفجرات . . صواريخ . لن أستسلم للهيب هذه المرأة . أوشك أن يصل إلى الدور الثانى حيث تسكن . استعاذ من الشيطان الرجيم انقلب كيانه منذ رآها . عذبته كثيراً ، تعرض لفتنة الجسد . ألقت عليه شباكها ودلالها . لم يعد صالحاً كما كان . حرام عليك أنا شاب أعرف الله . لماذا يارب هذا الاختبار ؟ تعلم أننى ضعيف الإرادة . من الأفضل اختبار واحد غيرى يستطيع الصمود . وقف أمام بابها يرتعش . هل يضغط على الجرس ؟ شعر بمن يدفعه بعيداً . أصبح لضميره عضلات . يلاكم نفسه . نزل بضعة سلالم فى طريقه إلى الدور الأول . توقف . ماذا سيقول لها إذا قابلته غداً . من اللياقة أن يعتذر الآن . أنا آسف عندى موعد . سيقولها واقفاً عند عتبة شقتها . لكن هل يضمن ؟ عاد إليها من جديد . سمع وقع أقدام تصعد السلم . لابد أن يتخذ قراره . يلقى بنفسه فى أحضانها أو يذهب إلى المسجد . قرر حسم أمره . طرق بابها . سمع وقع أقدامها . عاد إليه تردده . لم يصرعه بعد بالضربة القاضية . فكر فى فض يده من هذا الموضوع . فات الوقت . وجها لوجه أمامها . يكشف ثوبها العديد من مفاتن جسدها . امرأة بحق . انهارت خطوط دفاعه . التقط يدها . قبلها يعرف أصول البروتوكول . جنتلمان . طافت عيناه بأرجاء المكان . بيتها أنيق . «ذوقك جميل مثلك» . اتسعت ابتسامتها . انخلع قلبه . جلسا على الأريكة .

LILAS.COM

سرحت عيناها فى وجهه ، تدعوه فى صمت أبلغ من أى كلام رب إشارة أبلغ من عبارة . تناسى كل شىء حتى نفسه . فجأة قطعت السماء خلوتهما . . الله أكبر . . الله أكبر . آذان المغرب . ارتجف . . الجنة تدعوه ، لكنه يعيش فى نعيم من نوع آخر . النار لها لذة خاصة . اقترب ليحترق . «أشهد ألا إله إلا الله» . صفعته نفسه بقسوة . بان الضيق على وجهها . انتقل إلى لسانها : «صوت ميكروفون المسجد يزعجنى خاصة فى الفجر يقلق نومى» ، «لدغته هذه الكلمة ، صاح ضميره فى مرارة : كيف تصلى الفجر بالجامع ثم تلقى بنفسك فى أحضان امرأة ؟ رد عليها ومرارته لا تزال عالقة بنفسه : أنا عكسك . . صوت الميكروفون لا يزعجنى لأنى (خجل أن يقول لها إنه يصلى الفجر فى جماعة) . . سكت .

أكملت إجابته وهى تقول متضاحكة : «لأن نومك ثقيل . . لاشئ يقدر على إيقاظك» لم يبتسم . . يالها من دعابة سخيفة أوجعته . لا يشعر بسعادة . لاحظت تجهمه : «مالك ؟ » .

– عندى موعد مهم . . قالها فى اضطراب .

– انطلقت كلماتها فى دلال وهى توشك أن تحتضنه : «وهل هناك أهم منى» ؟

كاد يضعف . جاءه مدد جديد : «حى على الفلاح» .

ابتعد عنها . سقطت نشوته تحت أقدام المؤذن . قرر أن يقاوم نفسه . قام قائلا فى تصميم : «أنا آسف . . لابد أن أتركك الآن» .

ظهرت الدهشة والغضب على وجهها : «إذن لماذا جئت» ؟

احتار فى الإجابة . أنقذه لسانه : «حتى لا أخلف موعدى معك» .

خاف أن تفتر عزيمته ويتراجع . بسرعة خطا نحو الباب . لم ينتظر أن تودعه . خرج . تنهد فى ارتياح . الحمد لله أنقذه الله فى اللحظة الأخيرة . نجا بأعجوبة . كاد يقع فى مصيبة . . كارثة . . يرتكب فضيحة . . سعادته الآن من نوع آخر . أخذت نفسه ترقص وتغنى . قاد ضميره الأوركسترا : «انتصرنا . . انتصرنا» . وصل إلى المسجد قابله أصحابه «تأخرت كثيراً» .

رد فى هدوء : «اكتشفت أن الطريق إلى الجنة ملىء بالأهوال» .

نظر بعضهم إلى بعض فى تعجب . . ما الذى يقوله ؟

ضحك لدهشتهم قائلا : «صدقونى . . إنها حقيقة» .

LIILAS.COM

تسللت إلى العربية.. وحطمتنى

أغلقت صفحتى الرياضية . . اليوم لن أجرى . . ظللت أعدو طيلة عمرى . . ماذا كانت النتيجة ؟ فارس الشباب سقط عن حصانه ، أصابنى الشيب قبل الأوان . نظر إلى «المنبه» الموجود إلى جواره . . التاسعة صباحاً ، ليس عنده رغبة فى عمل أى شىء ولو صلاة الصبح المواظب عليها منذ فترة . . السرير أفضل ! أخذ يتذكر ما حدث له بالأمس . . قضت على شبابى بكلمة واحدة قالتها فرحةَ بى !! «بمنطوق سامى» صدر منها ، فقدت كل ما أملكه . . تداعت الوسامة والحيوية وخارت العضلات ! كنت أظن أننى قريب من الجنة ، ففوجئت تطردنى منها . . ياربى لماذا لم تتدخل لإنقاذى وأنت تعلم أننى قد أصبحت متديناً وأصلى بانتظام ؟ سمع أصواتاً تتصارع داخل نفسه : «يا منافق . . يا كداب . . لم تكن تصلى لله ، بل من أجل إرضاء «سمرا» . . لذلك أخذت أكبر مقلب فى حياتك» .

- «كنت مؤمنا بالله دائماً وهى لها الفضل فى انتظام صلاتى» .

- الموضوع كله من أوله خطأ . . عيبك أنك لم تعترف بالأمر الواقع و . . . .

تدخل قلبُه مقاطعاً وصائحاً : «وهل كنت ترغب أن أتزوج من امرأة أكل عليها الدهر وشرب ؟؟ . . لا . . أنا آسف . . مازلت فى كامل نضجى وقوتى . . «سمرا» الاختيار المثالى ، لكنها صدمتنى .

انفضت المشاجرة التى قامت فى داخله فأخذ فى محاسبة نفسه بهدوء وهو مازال ممدداً فى سريره . . فى البداية تساءل : هل كان محقاً فى زواجه من جديد ؟ قبل أن يجيب فوجىء بامرأته قادمة من الآخرة . . سارع بالتصدى لها : «ياستى لا يوجد أحسن منك لكننى لم أكن لأستطيع أن أعيش وحيداً بعد وفاتك . . أديت واجبى كاملاً تجاه البنات حتى تزوجوا من أناس أفاضل» .

- «كنت أعلم مقدما أنك ستفعل ذلك . . الرجال لا أمان لهم وأنت بالذات زير نساء معروف بمغامراتك حتى فى حياتى ، لكن ما غاظنى أنك نسيت أن سنك تقترب من الخمسين وسعيت للزواج من فتاة صغيرة» .

رأى فى خياله مظاهرة ضده بعدما تدخلت فيها بناته من عائلة «السين» . . سها وسهام . . تذكر ما قالته الأولى : يابابا البنات بتموت فيك . . تعشقك بالفعل لكن ليس إلى درجة الزواج من رجل عنده بنات فى مثل سنها . . محتاج إلى ست عاقلة تخدمك وليست بنتاً صغيرة «تجننك» . أردفت الثانية : مالك وسمرا . . أنت رجل تحب الدنيا والشرب والفرفشة وهى محجبة ومختلفة عنك .

LILAS.COM

لم يشأ أن يستمر التحاور مع المحتجبين . . قام وتوضأ استعداداً للصلاة . . رَدَّ عملىّ على كل ما قيل عنه . . أطل على نفسه فى المرأة . . تأكد من وسامته ، شعره الفضى الغزير ، قوامه الممشوق ، عضلاته المفتولة . . احتج لدى أسرته أنا فى عز شبابى . . ، لماذا تريدون دفنى بالحيا والقائى فى حضن أرملة ، أو مطلقة أو امرأة عانس . . لا ، ، لن أتزوج إلا بكراً تلاعبنى وألاعبها وأتمتع معها بحياتى . بسم الله الرحمن الرحيم . صلى بالآيات القليلة التى يحفظها . . قل هو الله أحد . قل أعوذ برب الناس ، لم يكن كيانه مع ربه ، بل انشغل بمشاكله فى الأرض . . ابنته سهام عبيطة ! ما العيب أن تكون «سمرا» محجبة ؟ لقد شبع من الدنيا . من واجبه الآن الالتفات قليلاً إلى الدين دون أن ينسى مباهج الحياة وزينتها ، سمرا تمثل بالضبط ما يريده . . حجابها لذيذ ، «إيشارب» ذوقه حلو يزيدها بهاء . . ليست منغلقة ولا متعصبة بل اجتماعية ، تعيش عصرها . . اسمها على مسمى . . سمراء جميلة بكل المقاييس ، سبحان من أبدع . تجمع فى مهارة بين الدنيا والآخرة . . السلام عليكم ورحمة الله انتهت الصلاة . . شعر بوخز فى ضميره . . بذمتك هل صليت ؟ ما قيمة هذه الركعات إذا كان عقلك فى واد آخر ؟ ربنا كبير ورحيم بعباده . . يعلم حالتى السيئة ، أرجو مغفرته . . يكفينى أننى تغلبت على وساوس الشيطان وصليت الصبح .

عاد يتمدد من جديد فى فراشه وهو يتساءل : لماذا رفضتنى . . لماذا . . لماذا ؟

جاءته الإجابة بما يشبه الاكتشاف : فتاة أحلامى لم ترفضنى . . لم يخطر ببالها أبداً رغبتى فى الزواج منها ! صحيح أنها كانت منبهرة بى ، لكننى كنت عندها بمثابة صديق لوالدها . . يعنى رجل عجوز يقترب من الخمسين . . وهذا سر الرصاصة المستوردة التى أطلقتها علىّ فأصابتنى بجراح غائرة . . إنها الحقيقة المعروفة لدى الجميع ، يرفض وحده الاعتراف بها . . رد على نفسه بسرعه : لا . . لا . . الأمر ليس بهذه الصورة القاتمة . . إنها لم تلتقط مشاعره أو تتفهم ما يعنيه . . الخطأ من جانبه هو . . فشل رغم كل خبرته فى إرسال إشارات الحب لها ، أول مرة يرسب كـ«دون جوان» يخطف القلوب . . لم يجرؤ على مقابلتها ولو مرة خارج بيتها . . هز رأسه رافضا منطق الهزيمة . . حكايته مع سمرا مختلفة عن كل القصص الأخرى . . والدها صديقه ويمارس معه رياضة العَدْو كل صباح . . أول مرة يتعرف على فتاة تربطه بأبيها صلة قوية . . الموضوع من أوله فيه حساسية ، والأهم أنه لم يلتق من قبل بفتاة متدينة ، كان من واجبه تغيير أسلوبه حيالها ، فيطلبها رسمياً للزواج بدلا من هذا اللف والدوران الذى لجأ إليه . . لكن إقدامه على ذلك دون تمهيد سيصيب أهلها بالذهول . . «سعيد» وعمره ٤٨ سنة يريد أن «يسعد» بالاقتران بفتاة تصغره بربع قرن . . بأى عقل يقدم على ذلك ؟ أبسط إجابة يمكن أن يسمعها ستصيب شبابه فى مقتل : «يا سعيد . . هل نسيت سنك ؟؟ ابنتك الكبيرة عمرها ٢٣ سنة أصغر من سمرا بثلاث سنوات فقط» .

LILAS.COM

أخرج هذا الخاطر من رأسه وألقاه فى سلة المهملات . . لقد سار فى الطريق الصحيح . . التعرف على عروسه أولاً قبل التقدم إليها رسمياً . . الشرع يقول بذلك . . هو إذن متبع لتعاليم الدين . . دخل بيت عروسه من الباب . . رفض التسلل من الشباك ، راودته بالفعل فكرة مقابلتها بالخارج بعيداً عن أعين أهلها ، لكنه لم يتحمس . . مقدم على الزواج وليس مغامرة عاطفية ، وعروسه المحجبة سترفض هذا الطيش بالتأكيد . . من أين جئت بكلمة «بالتأكيد» . . شاهد بعينه محجبات فى أوضاع عشق وغرام على شواطئ النيل ! هى مختلفة عنهم اجتماعية ومتفتحة ، وفى ذات الوقت ملتزمة وصاحبة أخلاق . . فريدة من نوعها بالفعل . . الله أكبر . . الله أكبر . . ما هذا ؟ أذان الظهر . . ياه مضت ثلاث ساعات جالساً على سريره بلا حراك ، سارح فيما حل به ، قام للصلاة ليثبت أنه متدين لله وليس لأى غرض دنيوى .

أقبل على العبادة ، عنده عزم على التركيز ، لا يريد تكرار مهزلة الصبح . أمسك بعقله فى الركعة الأولى ، زاغ منه فى الثانية . «ياسمرا» أنت السبب فى تغيير أحوالى ، لم أصل بانتظام إلا بعد معرفتى بك عن قرب . . تصورى زمان كنت أشرب الخمر يومياً ، حالياً علاقتى بالويسكى سطحية . . كأس كل عدة أيام .

– لا . . أرجوك أطلب منك الامتناع نهائياً .

– حاضر . . أعدك بذلك رغم أنه أمر صعب . إننى لا أفرط فى الشرب إلى درجة السكر . . أبداً مجرد كأس من الويسكى أو البراندى تعدل مزاجى وتريحنى .

«علشان خاطر ربنا ، واثقة أنك ستقلع نهائياً عن الخمر وتبدأ صفحة جديدة» .

«صفحة جديدة مع ربنا أولا ومعك ثانياً» .

كلها إشارات واضحة فيها تعبير صريح عن مدى تعلقه بها . . لماذا لم تلتقطها ؟ هل التدين يغلق القلوب ؟! .

أنهى عبادته ساخطاً على نفسه . . الصلاة بهذه الطريقة لا تصلح أبداً . . خير له الإقلاع عنها حتى يجتاز أزمته ، كيف يمكن أن يرضى الله عنه ويفوز بثوابه وهو يفكر فى ركوعه وسجوده فى الحب والويسكى . . منها لله سمرا زلزلت كيانه بعدما هدمت فوق رأسه فكرة زواجه منها . . ياربى ما هذا الذى حدث . . يتذكر كلماتها له : شرف كبير أن أكون السبب فى تغييرك . . أمر أعتز به كثيراً . . فليس صحيحاً أنها كانت سلبية . . واثق أنه استحوذ على قلبها . . كم من مرة تضاحكت بين يديه ، بارع النكتة ، حلو الحديث ، قادر على إثارة اهتماماتها ، أخذ يتذكر بحر الثناء والمجاملات الذى جعلها تسبح فيه . . كفيل بتحريك الحجر . . بالفعل تحرك قلبها وتعلقت به . . نظراتها . . كلامها : شباب هذه الأيام لا يعجبنى ، أغلبه سطحى ، من الصعب تصور نفسى زوجة لواحد من هؤلاء ، وخاصة وأن مركزى فى البنك أصبح مرموقاً . . نظرت إليه مليّاً وهى تقول : أريد رجلاً أكبر منى بسنين صاحب خبرة وتجارب يفهمنى ويحتوينى . . والتهمته بعينيها .

أفاق من أحلامه . . أوهام . . أوهام . . خدعته حواسه . . إعجاب سمرا لا تعنى الموافقة على الارتباط به . . يتذكر كلمات ابنته سها :

LIILAS.COM

«يابابا البنات» بتموت فيك» ، لكن ليس إلى درجة الزواج . . «يعنى هو مجرد حلم تتطلع إليه الفتيات وليس وقعاً حيا بين أيديهم» . بناته على حق عندما عارضن مشروع زواجه منذ أول لحظة : كيف تتزوج بفتاة عمرها مقارب لأعمارنا؟ شبابه رفض الاعتراف بأنه أوشك على أن يتم الخمسين من عمره إلى أن أفاق بالأمس على الحقيقة المؤلمة . العجيب أنه ذهب فى هذا اليوم بالذات إلى منزلها بقميص شبابى ألوانه متنوعة . . وما أن رأته حتى صاحت منبهرة «إيه الشياكة دى» . . جلسا يتحدثان ، أراد أن يطير بها إلى السماء كما تعود فى لقاءاتهما المختلفة . . قال لها بابتسامة عريضة : «حجابك زادك حلاوة ! إنه يبرز وجهك الجميل» ، وهنا انطلقت الرصاصة الطائشة : «أنا متشكرة قوى يا أونكل . . لا أستحق كل هذا الثناء» أونكل . . أونكل . . ماجت به الدنيا . . هذه الكلمة ليست موجودة فى اللغة العربية كلها ، فكيف تنطقها ؟ أونكل . . أونكل . . أصوات خبيثة تصيح : ياراجل يا عجوز . . شعر بدُوار . . هوت مطرقة على رأسه ، باطن الأرض خير من ظاهرها . . النجوم انكدرت ، الوديان تآكلت ، الجبال نسفت . . البحار سُجِّرت ، كل جزء من جسمه يتصدع ، التقط أنفاسه بصعوبة قائلاً : «ياحبيبتى . . إنها ليست مجاملة بل حقيقة» . . «حبيبتى» قالها لأول مرة ، وطالما تمنى أن ينطقها ، لكنه شعر أنها لم تصدر من قلب عاشق ، بل رجل كبير السن . . عمو . . جدو . !!

انتفض من فراشه . . ارتدى ملابس الرياضة بعصبية . قرر أن يمارس رياضة الجرى فى عز الظهر . ليثبت أنه ما زال شاباً . . بدأ فى العدو ، وراح يطعن «أونكل» .

السقاعاشه

(١) لقاء

متعب . . متعب . . ما باليد حيلة ، اتباع نصيحة الأطباء واجبة . . المشى نصف ساعة على الأقل فى اليوم . . باق عشر دقائق أعود بعدها إلى بيتى ، أريد أن أستريح ، أنام نوماً طويلاً ، أنسى كل مشاكلى ، لكن كيف ؟ إنها هموم أمة . واصل سيره متوكئاً على عصاه . مصنوعة من الأبنوس . لونها بنى . . رصيف الشارع لا يساعد على المشى ، مليء بالحفر والمطبات ، تذكر الأيام الخوالى ، صحته أقوى ، الشوارع أنظف ، هذا الزحام الرهيب لم يكن موجوداً ، كان من السهل أن يخرج من بيته راجلاً إلى مكتبه ، يقطع المسافة فى ساعة دون كلل ، آه كم تغيرت الدنيا ، الڤيلات المحيطة بمسكنه أصابتها آفة ، تحولت إلى عمارات قبيحة الشكل ، أعداء الخضرة رفعوا راية النصر . . «كفانى مشياً هذا اليوم» . . تعبت أريد العودة إلى بيتى ، أين هو ؟ لا يعقل أن تكون الشيخوخة قد زحفت حتى على ذاكرتى ! هل يوجد أحد لا يعرف مكان سكنه ؟ الطريق الطويل خال ! غريبة ، لا يوجد فيه فرد واحد ، لا بد أن هناك شيئا غير طبيعى ، كارثة . . مصيبة . . أين ذهب الناس ؟ غير معقول ! لا يوجد إنسان فى الشارع المكتظ دائما بالمارة . . ما الذى يجرى ؟ فى أى تاريخ نحن اليوم ؟ السبت ٩ مارس ١٩٩٦م . . ١٩شوال ١٤١٦هـ . . أخذ يتفحص السبب وراء هذا الحداد العام . . ترى من الذى مات ؟ أخيرا لمح طيفاً من

LILAS.COM

بعيد ، لم يتبين فى البداية ملامحه ، تسمر فى مكانه من فرط الدهشة . . من هذا القادم إليه ؟ بشر أم ملك كريم ؟؟ . بهى الطلعة ، نورانى الوجه . . ناداه بعد أن تملك نفسه وأخذ يحدثه :

«اسمع يا بنى . . أنا اسمى الشيخ السقا ، هل يمكن مساعدتى فى العودة إلى بيتى . . أرجوك . . التعب أصاب كل كيانى حتى يخيل إلى أننى لا أعرف طريق منزلى » .

«قادم خصيصا لهذا الغرض . . مهمتى توصيلك إلى مسكنك الجديد» .

ارتبك الشيخ . . لا يعقل أن أكون قد تركت منزلى ، وانتقلت من حى الدقى دون أن أدرى . . قال والكلمات تتعثر على لسانه : «إننى أسكن فى ١٠ ميدان الدكتور سليمان ، أريد منك توصيلى إلى هذا العنوان ، إنه متفرع من شارع قمبيز . . أظنك تعرفه» .

«وهل يخفى القمر» ؟

«إذن ساعدنى فى العودة إلى بيتى» .

رد الطيف النورانى : «هذا ما سأفعله ، لكن ميدان الدكتور سليمان هو عنوانك القديم ، بيتك الجديد فى مكان آخر مختلف تماما» .

حاول أن يحتد : «وهل تعرف بيتى أحسن منى» . . رفضت نفسه مجاراته فى الحدة ضد محدثه . . هيئته تثير الطمأنينة والسكينة . . شديد بياض الثياب . . شديد سواد الشعر . . «من أين جئت . . أنت لم تعرفنى بنفسك . . ماذا تفعل بالضبط ؟ » .

انطلقت ضحكة ملائكية خافتة : «إننى قادم من المكان الذى ستذهب إليه الآن ، أريدك أن تثق بى وتعتبرنى صاحبك الأمين» .

دار فى ذهن الشيخ سؤال ، وقبل أن يطرحه سارع صاحبه فى الإجابة عليه : «اطمئن . . أولادك فى الحفظ والصون» .

عجيب . . هذا الطيف يعلم ما فى القلوب وما تخفى الأنفس . . وانطلقا .

(٢) حيرة

لماذا هذا الاستسلام العجيب للمجهول ؟ إلى أين هو ذاهب ؟ ربما إلى فخ ، مهلكة ، أعداؤه كثيرون يتمنون له الموت . تساءل عن مسكنه الجديد المزعوم . . هل هو قريب أم بعيد من هنا ؟ ثم إن كل حاجياته فى منزله السابق ، لا يتذكر البتة أنه قام بنقل أمتعته إلى مكان آخر . ، أوراقه ، كتبه ، ملابسه ، كلها فى البيت القديم ، وهل يدرى أصدقاؤه وتلاميذه وجمهوره بعنوانه الجديد ؟؟ كيف يستطيع مواصلة عمله من هناك . ؟ . . أولادى . . لا يعقل أن أعيش بعيداً عنهم . . طافت صورهم بمخيلته ، مصور محترف فى ذهنه يعرضهم الواحد تلو الآخر . . ضياء ، علاء ، هدى ، سناء ، إلهام ، عفاف ، منى ، استعادت ذاكرته شبابها وهى تستعرض أبناءه . . احتقن وجهه . . سأتوقف عن السير ، لا أستطيع الابتعاد عن فلذات أكبادى ، إنهم فى أشد الحاجة إلى . . من لهم غيرى ؟ الحزن سيذبحهم إذا غبت عنهم . التفت إلى مرافقه ثائرا ، انسحب غضبه بمجرد النظر إليه ، له نور «يطفئ» أى ثورة فى

LILAS.COM

مواجهته . . جاءه صوته ملائكيا : «يا مولانا اطمئن . . ستذهب إلى مكان أفضل ، وتلقى كل من تحلم برؤيتهم : مفاجأة كبرى سارة فى انتظارك . . أريدك أن تهدأ فقط ، لا داعى لهذه العواصف التى يموج بها فكرك» .

نظر إليه الشيخ متأملا فى عجب . . إنه لم ينطق بكلمة . كيف شعر إذن بمخاوفه ؟ هذه هى المرة الثانية التى يفعل فيها ذلك .

سأل نفسه : إلى متى يستمر فى السير ؟ .

جاءته الإجابة عن سؤاله الذى تردد فى صدره : «أذكر الله ، وسيتلاشى الوقت تماما وتجد المشوار ممتعاً .

لا . . لا . . ليس هذا بشراً . . يقرأ أفكارى من كتاب مفتوح .

(٣) شباب

«يا بنى الطريق طويل . . وأنا تعبـــان . . فى أى مكان يقع بيتى . . هل هو بعيد عن حى الدقى » ؟

الإجابة بسمة آسرة أردف بعدها : «انسى الدنيا كلها تجد راحتك» . هذا المرافق يتكلم ألغازا . . إنه لم يجب على سؤالى . . ثم أين البشر ؟ لماذا لا يجد لهم أثرا ؟

ومن جديد عاد يحدثه فى رجاء : أرجوك الرفق بى . . سنى ٧٩ سنة . . راجل عجوز . . لا أستطيع السير إلى مالانهاية» .

رمقه صاحبه بنظرة قوية كلها ثقة . . قال فى صوت موسيقى جميل : «العواجيز لا مكان لهم عندنا . . أنت فى منتهى الشباب بشرط أن تبدأ حياة جديدة . . دعنى أساعدك على ذلك» .

لم يترك له فرصة للرد . . أمسك بالشيخ ، شعر على الفور بحرارة الحياة تدب فيه ، انهزمت الشيخوخة والأمراض التى احتلت كيانه لسنوات . . تراجعت وانسحبت من مواقعها . . فر العجز من جسده وطلائع الدم تتدفق على جسده لتعيد صياغته مرة أخرى ، اختفت العصا ، ليس لها لزوم ، طاقم الأسنان ، نظارته الطبية ، كلها أصبحت فى خبر كان . . لم تعد تناسب حياته الجديدة . . فتوة الشباب وقوته ، يا إلهى ما أروعك ! الآن أستطيع السير دون كلل ، يشعر أنه يطير ، قادر على هزيمة أقوى عداء على وجه الأرض ، أى قوة هذه التى تدفعه هكذا ، يشعر أنه قطع آلاف الأميال فى بضع دقائق ، المسافة التى اجتازها حتى الآن تفوق ما قطعه فى عمره كله ، نظر إلى مرافقه شاكرا ، قام بتهنئة نفسه على ذكائه . . منذ اللحظة الأولى شك فى أن هذا المرافق إنسان !!

(٤) انفجار

أى دنيا جديدة فى انتظاره ؟ دموع الشيخ وهو يشاهد إتقان الصانع فى خلقه . . تشكيلة بديعة من السحب ، لوحات طبيعية رائعة ، فجأة وقع ما ليس فى الحسبان . . السماء تتلبد ، الغيوم تتراكم ، دخان أسود كثيف ، بدأت المتاعب ، انتهت الأحلام الوردية ، يبدو أن الحياة لا تخلو من مشاكل حتى هنا . . أصوات استغاثة قادمة من بعيد ، نظر إلى الطيف الذى يصاحبه مذعوراً ، تساءل عما يحدث ، رد مرافقه بابتسامة ولم يتكلم . . أصوات الضجيج تقترب ، شاهد حروفاً معلقة فى السماء ، مكتوبة بطريقة لم يعهدها من قبل ، حاول تبين معالمها . . لابد من معرفة هذه

LIILAS.COM

الكلمة . . بذل جهده فى قراءتها . . ظ ، ا ، ل ، م . . فوجىء بشخص محبوس داخلها ، الكلمات ملتفة حوله تكبله ، انتابه الخوف مما يجرى ، حاول الذعر الإمساك به ، إلا أن الطيف المرافق لم يمكنه من ذلك : «اطمئن» . . أنت فى أمان» ، ، يريد الفرار من هنا ، ظلم . . ظلام ، إخوة تضمهم كتيبة سوداء . . أخيرا رأى الشمس من جديد خرج من الظلمات إلى النور ، ، ياه . . الدقائق المظلمة مرت كدهر . . بدأ يهدأ ، قبل أن تنام نفسه على سرير السكينة استيقظت من جديد . . شاهد صلة الرحم مكتوبة بحروف ضخمة بارزة . . لا يفهم شيئا مما يحدث . . سمع دوى انفجار ، تناثرت الكلمة فى كل اتجاه ، سقط حرف (ص) جانبه ، أما اللام فقد وقعت خلفه والتاء ذهبت بعيدا عنه ، تبعثرت أشلاء الرحم ، شخص مقبوض عليه ، لابد أنه الجانى ، ملائكة غلاظ شداد يمسكون به . . الحمد لله . . قالها فى نفسه بعدما قارن بينهم والطيف الملائكى الذى يرافقه .

(٥)تحقيق

داهمت الحيرة قلب الشيخ . . إلى متى يستمر منطلقاً بلا توقف ؟ أين مسكنه الذى انتقل إليه ؟ من هم جيرانه الجدد ؟ هل يعرف أحداً منهم من قبل ؟ ما هى المفاجأة الجميلة التى تنتظره ؟ كل ما شاهده حتى الآن مناظر مفزعة !! وعده طيفه بلقاء الأحباب والأصحاب . . من هم ؟ وأين سيقابلهم ؟ سمع أصواتاً تتحدث . . انتبه . . ربما شاهد أحداً يعرفه :

أنا شاهدة عليه . . أهملنى . . لا فجر ولا ضحى . . فى الظهر طبعا مشغول عنى بعمله ، أما فى العشاء فسهراته هى الأهم .

لا . . غير صحيح . . اسألوا يوم الجمعة وسيشهد فى صفى .

صوت عميق : «لم يكن مواظباً حتى فى هذا اليوم . . يأتينى فقط فى المناسبات .

بكاء . . توسل : «فتشى عن الإيمان فى قلبى تجديه» .

لا يرى أحـــداً من المتكلمين . . بحث فى كل مكان دون جدوى . . من هى التى تشكو بصوت عميق . . هل هى الصلاة ؟ نظر إلى مرافقه ليسأله . . فى واد آخر . . يبدو أن الأمر لا يعنيه . . صامت لا يتكلم ، ابتسامته الحلوة مستكينة فى مكانها ، من واجبه أن يشرح له ما يحدث . . كان يجيب على أسئلته وهى جنين فى قلبه . . ماذا جرى له ؟ هجم على الصمت القائم بينهما وطرحه بعيداً : «وعدتنى بالانتقال إلى مكان أفضل ، ووثقت بك لكن ما شاهدته حتى الآن لا يساعدنى على الطمأنينة . . استغاثات . . انفجارات . . تحقيقات . . لا أدرى ما الذى تفعله معى بالضبط ؟»

رد بصوت ملائكى فى هدوء : «أساعدك على رؤية ما حولك قبل توصيلك إلى مسكنك» .

تساءل فى فزع : «هل سيكون هؤلاء جيرانى وأعيش معهم فى عالم واحد» ؟

بل أنت فى مكان مختلف تماما . . لا تقلق . . قالها بابتسامة واسعة حانية .

LIILAS.COM

سبحان الله . . الحمد لله . . لا إله إلا الله . . الله أكبر . .
انشغل الشيخ فى تسبيح ربه . . أخيرا شاهد شيئا من بعيد . .
يبدو أننا وصلنا ، لكنه يشبه القبو ، هل هذا هو العنوان الموعود ؟ . .
لا . مستحيل . . غير معقول أن يلقى به هنا ، لا فارق بينه وبين
أماكن الحجز فى أقسام الشرطة . . هبت العواصف على نفسه ،
رياح من القلق اجتاحت كيانه ، قطع مرافقه رأس الاضطراب
الزاحف عندما قال : «لا تفزع وأنت تشاهد تحقيقاً مع المعتدين
على الحرمات» . . فوجئ بواحد من أصحاب اللحى . . يبدو أنه
شاهده من قبل فى مكان ما . . لحيته ضخمة . . ترى لماذا جاء إلى
هنا ؟ كلمة حرام معلقة فى رقبته . قبل أن يسأل جاءته الإجابة :
«هذا الرجل ينتظر المحاكمة . . كان يقوم بتحريم ما أحل الله» .

واستطرد المرافق باسماً : «هنا العدالة مطلقة . . كل متهم
يعطى فرصة كاملة للدفاع عن نفسه رغم أن الأدلة قاطعة . .
بالصوت والصورة» .

وبسرعة رد الشيخ : «ربنا غفور رحيم . . إنه صاحب العفو ،
لذلك لا أعتقد أن الإدانة مؤكدة رغم أن الجريمة ثابتة» .

زغردت الفرحة على مرافقه : «سعيد بما تقول . . أشكرك . .
كلامك يدل على أنك استعدت لياقتك الذهنية ، وطردت الخوف
من كيانك» .

تجولا فى المكان . . شخص سكير ملقى هناك . . نسوة رخيصات
مع رجل يبدو أنه قواد . . توقفا لمشاهدة متهم يدافع عن نفسه . .
أناقته مازالت متبقية : «لم أقصد أبدا الهجوم على الدين والمتدينين ،

كنت أنتقد فقط المتطرفين» . . قالها وهو يرتعش . . ارتعد بعدما
وقع ما ليس فى الحسبان . . تكلمت يده . . وصاحت غاضبة :
«كان يجبرنى على كتابة ما لا أريد والسخرية من المؤمنين» رأى
أصابعه تواجهه وتقول : «هل نسيت ما كتبته من أن إقامة الحدود
تشريع يدل على الهمجية ولا يصلح للعصر الحديث ؟» .

استمات فى الدفاع عن نفسه : «إنما الأعمال بالنيات ، كنت
أريد أن أقدم الإسلام للعالم بصورة حضارية متقدمة . .
صدقونى . . أحب دينى مخلصاً له» .

صاحت يده من جديد : «كتبت بى مقالات عديدة معادية . .
هاجمت حجاب المرأة واتهمته بالتخلف ، وقلت عن المتمسكين
بكتاب الله أنهم مرضى وأصحاب عقد نفسية !! » .

«لا . . لا هذا فهم خاطئ لم أقصده . أردت فقط
المتاجرين بالدين» .

ابتعد الشيخ وقد احتضن العجب كيانه كله . . ود لو هرع إلى
العصاة ليخبرهم بما رآه رحمة بهم ليعلموا أن الله حق .

وقبل مغادرة المكان رأى رجلا مقبوضا عليه يمسكه واحد
من ملائكة النور وجندى من كتيبة إبليس . . صاح من
الدهشة : ما هذا ؟

رد مرافقه دون أن يهتز له طرف : «رجل كثير الصلاة . . لم يمنعه
خشوعه من إيذاء الناس» . كفاه ما شاهده . . يريد الخروج من
هنا . . اللهم احفظنا . .

LIILAS.COM

يخشى التعرض للتحقيق أو لاختبار عسير . رأى نفسه منطلقا من جديد . . الحمد لله صفحتى بيضاء نقية . . لم أكن أستطيع الصمود فى وجه الأهوال التى رأيتها . . شكرا لك يارب . . ألف شكر .

(٦) محطة الوصول

مناظر ساحرة خلابة ، هل يعقل أن أعيش فى هذا المكان ؟ ما أجمل الحياة هنا . . ولا فى الأحلام . . سجد لله شكراً ، عندما قام ، لم يجد مرافقه . . اختفى . . يريد أن يشكره . . ثم إنه فى حاجة إليه . . من سيكون دليله فى حياته الجديدة ؟ أين مسكنه فى هذا العالم الفسيح ؟ ابتسم عندما تذكر أنه ترك كل شىء فى بيته القديم ، لا يصلح هنا ، أناس كثيرون ، مختلف الأشكال والألوان ، لا يوجد أدنى زحام . . ألقى السلام ، السلام عليكم ، لا يشعر بالغربة . . وجوه أنيسة لديه ، رأى كاتباً يعرفه ، اشتهر بدعوته إلى الحب ، معه زوجته ، سيدة عظيمة ، فى أتم الصحة والعافية ، ذهب للسلام عليهما . سمع صوتاً يناديه . . التفت . . بسم الله الرحمن الرحيم . . غير ممكن . . مستحيل . . لكنه هو . . قال : «حضرتك . . » قبل أن يكمل جملته ارتمى الرجل فى أحضانه . . عناق . . قبلات . . دموع . . كل شىء هنا مختلف . . قال وهو يحتضنه : «صاحب فضل كبير . . أكرمونى بسببك ، أنت وراء النعيم الذى أرفل فيه» .

«بل إليك يرجع الفضل كله» .

فخور بك يا بنى . . كنت تلميذا نجيبا لهذا الشيخ الصالح الذى جاءنى فى المنام عندما رزقت بك ، وطلب منى تسميتك على اسمه . . لقد لقينى منذ قليل ، وأشاد بذكائك وإخلاصك وهو الذى أبلغنى أنك قادم إلينا .

«لكن هذا الشيخ يا أبى مات منذ ألف سنة» .

«الزمن فى هذا المكان لا قيمة له» .

تجولت عيناه باحثا عن هذا العالم الجليل . . ياربى ألا يوجد عجوز واحد ههنا كل سكانها من الشباب فقط . . يريد مرآة ليرى نفسه . . كيف تحول من عجوز فى التاسعة والسبعين إلى رجل يبلغ أشده ينافس أولاده . . آه لو كانوا بالقرب منه . . لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه . . ابتسم عندما التقى خياله بهم . . لن يتعرفوا عليه إلا بصعوبة . . تركهم عجوزا مرهقا ، وها هو اليوم فى قمة تألقه . . أخذت ابتسامته فى التلاشى . . ترى كيف يعيشون من دونه ؟ هل مزقهم البكاء ؟ هنا لا أحد يبكى . . ظهر مرافقه من جديد . . سأله فى لهفة عن بيته القديم وأبنائه والعالم هناك . . داهمه شعور بالتسرع . . من المفروض أن يسأل أولاً عن أحوال صاحبة . . الدعوة إلى الله . . لابد أنها خسرت برحيله .

قال له صاحبه : «للدين رب يحميه . . ثم إنك لم تمت ، تعيش بأفكارك وحب الناس لك ، . . أولادك يبذلون جهداً طيباً فى إعادة طبع كتبك وحفظ مقالاتك» .

رد الشيخ : «أشكر لى ضياء وعلاء والبنات» .

LIILAS.COM

سمع أصواتاً نسائية : «لا أدرى ما الذى تفعله بنفسها . . قبل مجيئى إلى هنا شهدت لها فيلما سيئا جدا ، ظهرت فيه مبتذلة . . إنها موهوبة . . فلماذا تقوم بهذه الأفلام الرخيصة .

التفت إلى مصدر الصوت ، عرفها على الفور . . فنانة معروفة ، تساءلت قائلة فى فرحة : حضرتك الشيخ السقا ؟

أومأ برأسه وقبل أن يرد . . أكملت وكلامها يزغرد : تابعت كل كتاباتك فى الدفاع عن الفن الشريف فى مواجهة من قالوا بحرمة الغناء والموسيقى . . هنا ستجد الكثيرين من المعجبين بك .

يا سيدتى شكرا لك .

تجولت عيناه فى المكان من جديد . . يبحث عن شخص محدد . . ترى هل سأجدها ؟ أم من كل مكان . . علماء ، مفكرون ، أدباء ، أناس من مختلف المهن والألوان والفئات . . ظهرت على محياه ابتسامة ثقة ، كان معه حق فى تأنيبه لبعض الذين دأبوا على تخويف المؤمنين من النار والعذاب . . لم يتوقف بصره عن التنقيب . العثور عليها ستكون جائزتى الكبرى هنا .

«تعال أريد تعريفك بأناس أفاضل» .

عجيب صاحبى هذا . . يعلم مكنون قلبى .

انطلق وكله شوق ولهفة إليها ، قاده إلى مجموعة من العلماء . . تهلل وجهه إنهم أساتذة مدرسته التى استقى منها ينبوع فكره . . استقبلوه فى حرارة ، تلميذهم النابغ ، تبادلوا الذكريات ، امتد كلامهم إلى ما يعانيه المسلمون من سوء الأحوال . . انقبض قلبه ،

الحسرة ملأت نفسه ، جاءه مرافقه فى الوقت المناسب : «عندى هدية لك» . . يشعر أنه سيلاقيها هذه المرة ، انتشى القلب ، وانسحب الحزن من تلقاء نفسه ، . . ذاهب إليها بكل الشوق والحب والعرفان ، أخذت السعادة ترقص على أنغام خطواته .

وأخيرا تقابلا .

يا سبحان الله . . لقد تركتنى مريضة ، شاحبة الوجه ، صفراء اللون ، وها هى اليوم فى كامل شبابها وأبهى صورها . . قالت له : «سعيدة جدا . . رحلتك إلى هنا سهلة ميسرة ، أنا تعبت جدا حتى وصلت إلى هذا المكان .

أخيرا رست سفينته عند مرفأها . . استراح بين يديها ، «ابتعادك عنا فجأة كان كارثة . . «قالها فى كلمات صادقة» .

«اليوم لا شقاء ولا تعب ولا عناء ولا نصب» . . نطقا بها فى نفس واحد . . تضاحكا من هذه المصادفة ورياح النشوة تعبث بهما» .

LIILAS.COM

الفهرس

الإهـــــداء	٣
مقـــدمـــة	٥
الحل فى الأهلى والزمالك	١٥
الشيخ إحسان ليس أبى	٢٥
قلب حبيبتى لولا	٣١
عشرة آلاف جنيه	٤٠
باريـــس	٤٤
سر أولجا	٥٧
ضمير فى كوب عصير	٦٣
شهيرة لا ترقص	٧٢
مفتاح نصف الليل	٨٢
فرح ومستور	٨٦
لاعب فى السماء	٩٧
ترانزيت مع إبليس	١٠٢
تسللت إلى العربية . . وحطمتنى	١٠٦
السقا عاش	١١٣

LIILAS.COM

LIILAS.COM

«الحل فى الأهلى والزمالك»

محمد عبد القدوس

هى المجموعة القصصية الثالثة للكاتب
الأديب الصحفى / محمد عبد القدوس.

تضم المجموعة القصصية الجديدة أربع عشرة قصة قصيرة.

كاتبنا أديب متميز فى مجال القصة الإسلامية الحديثة.. صدرت له المجموعة الأولى سنة ١٩٩١م تحت عنوان «سيدنا الشيخ فى المقهى»، ثم أصدر سنة ١٩٩٣م مجموعته الثانية «بحر المحجبات».

عضو مجلس نقابة الصحفيين منذ عام ١٩٨٥م، فاز بالمركز الأول أربع مرات فى انتخابات نقابة الصحفيين. وهذا الإنجاز هو الأول من نوعه فى تاريخ النقابات المهنية.

اشتهر بجرأته فى الكتابة السياسية والتصدى للظلم.

كاتب إسلامى وله العديد من الكتابات فى مختلف الصحف والمجلات، وقد صدر له فى هذا المجال كتاب تحت عنوان «الإسلام فى حياتنا المعاصرة»... ومازال يواصل جهاده فى هذا الميدان.

ابن الكاتب الراحل الكبير / إحسان عبد القدوس، وصهر الإمام العلامة فضيلة الشيخ / محمد الغزالى رحمه الله.

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

LIILAS.COM

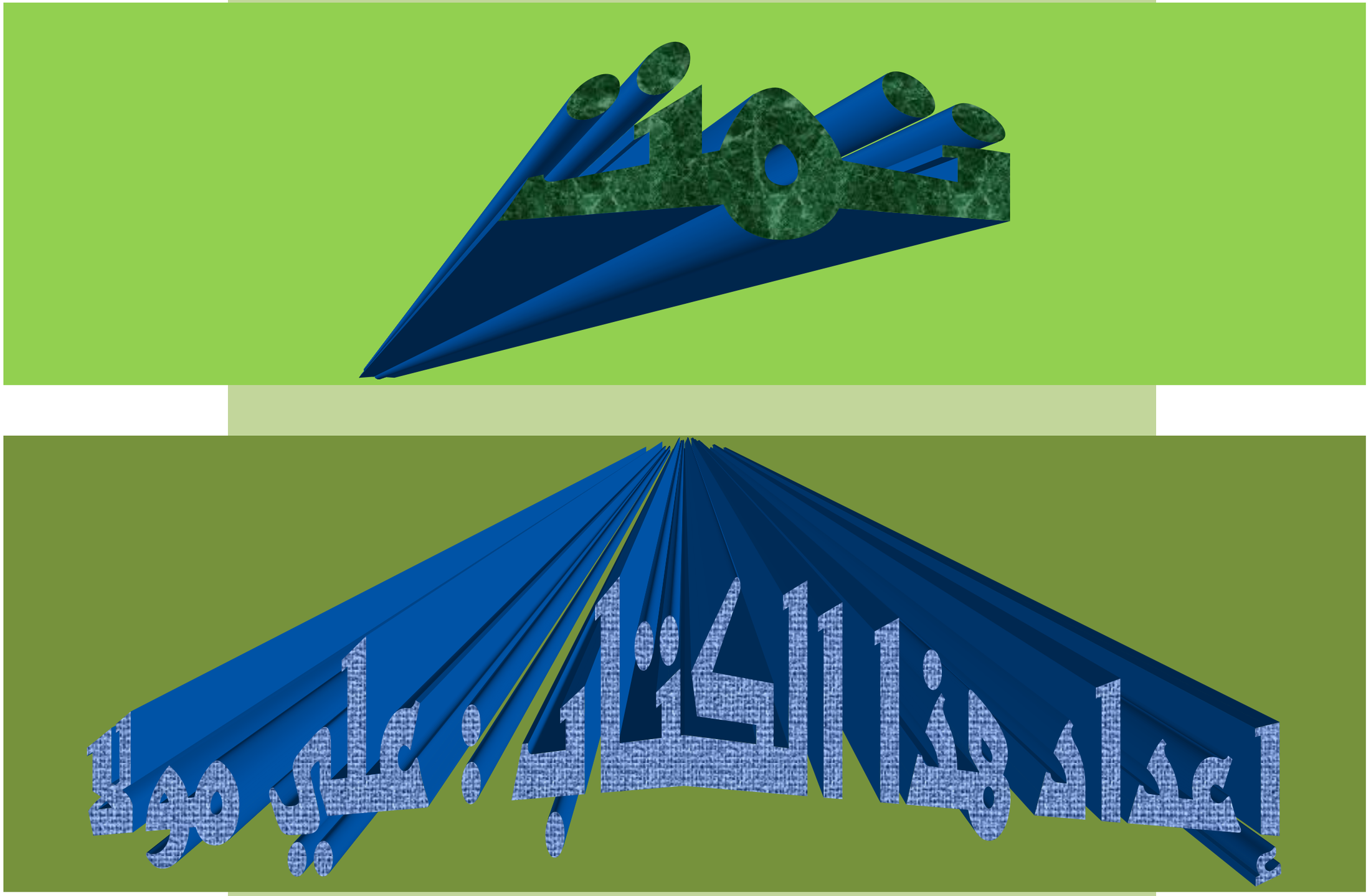

LIILAS.COM